سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

مكيـة

وآياتها مائة واثنتاعشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

اقترب للناس حسابهم [1] : أي قرب زمن حسابهم وهو يوم القيامة.

وهم في غفلة : أي عما هم صائرون إليه

معرضون : أي عن التأهب ليوم الحساب بصالح الأعمال بعد ترك

---

(١) قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأُول وهن من تلادي: يريد من أوّل ما حفظ كالمال التليد.

الشرك والمعاصي

من ذكر من ربهم محدث : أي من قرآن نازل من ربهم محدث جديد النزول.

وهم يلعبون : أي ساخرين مستهزئين.

لاهية قلوبهم : مشغولة عنه بما لا يغني من الباطل والشر والفساد.

واسروا النجوى : أي أخفوا مناجاتهم بينهم.

أضغاث أحلام : أي أخلاط رآها في المنام.

بل افتراه : أي اختلقه وكذبه ولم يوح إليه.

أفهم يؤمنون : أي لا يؤمنون فالاستفهام للنفي.

معنى الآيات:

يخبر تعالى فيقول وقوله الحق: ﴿اقترب للناس[1] حسابهم﴾ أي دنا وقرب وقت حسابهم على أعمالهم خيرها وشرها ﴿وهم في[2] غفلة﴾ عما ينتظرهم من حساب وجزاء ﴿معرضون﴾ عما يدعون إليه من التأهب ليوم الحساب بترك الشرك والمعاصي والتزود بالإيمان وصالح الأعمال. وقوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر[3] من ربهم محدث[4]﴾ أي ما ينزل الله من قرآن يعظهم به ويذكرهم بما فيه ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ أي استمعوه وهم هازئون ساخرون لاعبون غير متدبرين له ولا متفكرين فيه. وقوله تعالى: ﴿لاهية قلوبهم﴾ أي مشغولة عنه منصرفة عما تحمل الآيات المحدثة النزول من هدى ونور، ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا[5]﴾ وهم المشركون قالوا في تناجيهم بينهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي ما محمد إلا إنسان مثلكم فكيف تؤمنون به وتتابعونه على ما جاء به،

---

(١) لفظ الناس: عام وإن أريد به أهل مكة بدليل السياق في الآيات بعد.

(٢) الجملة حالية أي: اقترب للناس حسابهم والحال أنّهم في غفلة معرضون.

(٣) محدث: أي: في نزوله وقراءة جبريل له على النبي ﷺ إذ كان ينزل آية آية وسورة سورة وجائز أن يكون الذكر الرسول ﷺ لقرينة الآيات كقوله: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ وقوله: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا..﴾ فرسول بدلا من قوله: (ذكراً) وقوله (إلا استمعوه) أي: الرسول وهم يلعبون. قاله الحسن بن الفضل.

(٤) لاهية: ساهية معرضة عن ذكر الله تعالى. يقال: لهيت عن الشيء إذا تركته وسهوت عنه، وهو نعت تقدّم عن الاسم فنصب على الحال نحو: (خاشعة أبصارهم)، (ودانية عليهم ظلالها) وكقول كثير عزّة:

لعزة موحشا طلل يلوح كأنه خِلَلُ

(٥) (الذين ظلموا) بدل من واو الجماعة في: (وأسروا النجوى).

إنه ما هو إلا ساحر ﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ مالكم أين ذهبت عقولكم؟ قال تعالى لرسوله: ﴿قل ربي[1] يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع . . . ﴾ لأقوال عباده ﴿العليم﴾ بأعمالهم فهو تعالى سميع لما تقولون من الكذب عليم بصدقي وحقيقة ما أدعوكم إليه .

وقوله تعالى :﴿بل قالوا﴾ أي أولئك المتناجون الظالمون﴿أضغاث أحلام﴾ أي قالوا في القرآن يأتيهم من ربهم محدث لهم ؛ ليهتدوا به قالوا فيه أضغاث أي أخلاط رؤيا منامية وليس بكلام الله ووحيه، ﴿بل افتراه﴾ انتقلوا من قول إلى آخر لحيرتهم ﴿بل هو شاعر﴾ أي ﷺ وما يقوله ليس من جنس الشعر الذي هو ذكر أشياء لا واقع لها ولا حقيقة. وقوله تعالى عنه: ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ أي إن كان رسولاً كما يدعي وليس بشاعر ولا ساحر فليأتنا بآية أي معجزة كآية صالح أو موسى أو عيسى كما أرسل بها الأنبياء الأولون. قال تعالى : ﴿ما آمنت قبلهم من[2] قرية﴾ أي أهل قرية ﴿أهلكناها﴾ بالعذاب لما جاءتها الآية فكذبت أفهم[3] يؤمنون أي لا يؤمنون إذ شأنهم شأن غيرهم، فلذا لا معنى لإعطائهم الآية من أجل الإيمان ونحن نعلم أنهم لا يؤمنون .

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ قرب الساعة .

٢ـ بيان ما كان عليه المشركون من غفلة ولهو وإعراض، والناس اليوم أكثر منهم في ذلك .

٣ـ بيان حيرة المشركين إزاء الوحي الإلهي والنبي ﷺ .

٤ـ المعجزات لم تكن يوماً سبباً في هداية الناس بل كانت سبب اهلاكهم إذ هذا طبع الإنسان إذا لم يرد الإيمان والهداية فإنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية .

---

(١) قرأ نافع والجمهور: (قل ربي) بصيغة الأمر، وقرأ حفص ومن وافقه (قال) بصيغة الماضي .

(٢) (من): زائدة لتقوية الكلام وتوكيد النفي المستفاد من حرف (ما) .

(٣) الاستفهام للإنكار أي: انكار إيمانهم لو جاءتهم الآية أي: فهم لا يؤمنون .

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

قبلك	: يا محمد .
أهل الذكر	: أي الكتاب الأول وهم أهل الكتاب .
جسداً	: أي أجساداً آدمية .
الوعد	: أي الذي واعدناهم .
المسرفين	: أي في الظلم والشرك والمعاصي .
كتاباً	: هو القرآن العظيم .
فيه ذكركم	: أي ما تذكرون به ربكم وما تذكرون به من الشرف بين الناس .

معنى الآيات :

كانت مطالب قريش من اعتراضاتهم تدور حَوْلَ لِمَ يكون الرسول بشراً ، ولِمَ يكون رسولاً ويأكل الطعام لم لا يكون له كنز أو جنة يأكل منها ، لم لا يأتينا بآية كما أرسل بها الأولون ، وهكذا . قال قتادة قال أهل مكة للنبي ﷺ «وإذا كان ما تقوله حقاً ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهبا ، فأتاه جبريل فقال إن شئت كان الذي سألك قومك ، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم ينظروا «أي ينزل بهم العذاب فوراً» وإن شئت استأنيت بقومك ، قال بل استأني بقومي فأنزل الله ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ يارسولنا[1] ﴿إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ ما نريد إبلاغه عبادنا من أمرنا ونهينا. ﴿فاسألوا أهل الذكر[2] إن كنتم لا تعلمون﴾ أي فليسأل قومك أهل الكتاب من قبلهم وهم أحبار اليهودورهبان النصارى إن كانوا لا يعلمون فإنهم يعلمون أن الرسل من قبلهم لم يكونوا إلا بشراً. وقوله تعالى: ﴿وما جعلناهم﴾ أي الرسل ﴿جسدا﴾[3] أي أجساداً ملائكية أو بشرية لا يأكل أصحابها الطعام بل جعلناهم أجساداً آدمية تفتقر في بقاء حياتها إلى الطعام والشراب[4] فلم يعترض هؤلاء المشركون على كون الرسول بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ وقوله تعالى: ﴿ثم صدقناهم﴾ أي أولئك الرسل ﴿الوعد﴾[5] الذى وعدناهم وهو أنا إذا آتينا أقوامهم ما طالبوا به من المعجزات ثم كذبوا ولم يؤمنوا أهلكناهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ أي أنجينا رسلنا ومن آمن بهم واتبعهم، وأهلكنا المكذبين المسرفين في الكفر والعناد والشرك والشر والباطل.

وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون؟﴾ يقول تعالى لأولئك المشركين المطالبين بالآيات التي قد تكون سبب هلاكهم ودمارهم ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ لهدايتكم وإصلاحكم ثم إسعادكم ﴿كتاباً﴾ عظيم الشأن ﴿فيه ذكركم﴾[6] أي ما تذكرون به وتتعظون فتهتدون إلى سبيل سلامتكم وسعادتكم، فيه ذكركم بين الأمم والشعوب لأنه نزل بلغتكم الناس لكم فيه تبع وهو شرف أي شرف لكم. أتشتطون في المكايدة والعناد فلا تعقلون، ما هو خير لكم مما هو شر لكم.

---

(١) هذا ردّ على المشركين إذ قالوا: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ وتأنيس للنبي ﷺ حتى لا يضيق بما يقولون.

(٢) جائز أن يكون أهل الذكر أي: الكتاب الأوّل هم اليهود والنصارى إذ كان أهل مكة يسألون يهود المدينة وجائز أن يكون القرآن وهم المؤمنون ولذا قال عليّ وهو صادق: نحن أهل الذكر. أي: فليناظروا المؤمنين كعلي وأبي بكر الصديق وبلال. وفي الآية دليل على وجوب تقليد العامة العلماء إذ هم أهل الذكر ووجوب العمل بما يفتونهم به ويعلمونهم به.

(٣) الجسد: الجسم لا حياة فيه كالجثة. وفي العبارة تهكم بالمشركين لسخف عقولهم إذ أنكروا على الرسول ﷺ أكل الطعام فقالوا: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ وهل يعقل وجود أجسام بشرية تستغني عن الأكل والشرب؟

(٤) ولذا هم يموتون ولا يخلدون وهذه حقيقة الآدمي.

(٥) الوعد: منصوب على نزع الخافض أي: صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم، وهو وعدهم بنصرهم وإهلاك أعدائهم.

(٦) (فيه ذكركم): أي: فيه ذكر أمر دينكم وأحكام شرعكم وبيان ما تصيرون إليه من ثواب أو عقاب وفيه ذكر مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم.

هداية الأيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير مبدأ أن الرسل لا يكونون إلا بشراً ذكوراً لا إناثاً.

٢ـ تعين سؤال أهل العلم في كل ما لا يعلم إلا من طريقهم، من أمور الدين والآخرة.

٣ـ ذم الإسراف في كل شيء وهو كالغلو في الشرك والظلم.

٤ـ القرآن ذكر يذكر به الله تعالى لما فيه من دلائل التوحيد وموعظة لما فيه من قصص الأولين وشرف أي شرف لمن آمن به وعمل بما فيه من شرائع وآداب وأخلاق.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾

شـرح الكلمـات :

وكم قصمـنا : أي وكثيراً من أهل القرى قصمناهم بإهلاكهم وتفتيت أجسامهم.

كانت ظالمـة : أي كان أهلها ظالمين.

يركضـون : أي فارين هـاربين.

إلى ما أترفتم فيه : أي من وافر الطعام والشراب والمسكن والمركب.

تسـألـون : أي عن شيء من دنياكم على عادتكم.

تلك دعـواهم : أي دعوتهم التي يرددونها وهي : ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾.

حصيداً خامدين : أي لم يبق منهم قائم فهم كالزرع المحصود خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أُخمدت.

معنى الآيـات :

يقول تعالى منذراً قريشاً أن يحل بها ما حل بغيرها ممن أصروا على التكذيب والعناد ﴿وكم قصمنا﴾ أي أهلكنا وأبدنا إبادة كاملة ﴿من قرية﴾[1] أي أهل قرية ﴿كانت ظالمة﴾ أي كان أهلها ظالمين بالشرك والمعاصي والمكابرة والعناد، ﴿وأنشأنا بعدها قوماً آخرين﴾ هم خير من أولئك الهالكين. وقوله تعالى: ﴿فلما أحسوا[2] بأسنا إذا هم منها يركضون﴾ أي فلمـا أحسَّ أولئك الظالمون ﴿بأسنا﴾ أي شعروا به وادركوه بحواسهم بأسماعهم وأبصارهم ﴿إذ هم منها﴾ من تلك القرية يركضون هاربين فراراً من الموت. والملائكة تقول لهم توبيخاً لهم وتقريعاً: لا تركضوا هاربين ﴿وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه﴾ نُعِمْتُم فيه من وافِرِ الطعام والشراب والكساء والمسكن والمركب ﴿لعلكم تسألون﴾ على العادة عن شيء من أموركم وأمور دنياكم[3]، فكان جوابهم ما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا يا ويلنا﴾ أي يا هلاكنـا أحضـر هذا أو آن حضـورك إنـا كنـا ظالمين أنفسنا بالشرك والمعاصي والتكذيب والعناد. قال تعالى: ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي ما زال قولهم ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ تلك دعوتهم[4] التي يرددونها ﴿حتى جعلناهم حصيداً[5] خامدين﴾ أي مُجتثين من أصولهم ساقطين في الأرض خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أُخمدت فلم يبق لها لهيب.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ التنديد بالظلم وأعلى درجاته الشرك بالله.

٢ـ جواز الاستهزاء بالمشرك الظالم إذا حل به العذاب تقريعاً له وتوبيخاً.

٣ـ لا تنفع التوبة عند معاينة العذ اب لو طلبها الهالكون.

٤ـ شدة الهول ورؤية العذاب قد تفقد صاحبها رشده وصوابه فيهْذِرُ ولا يدري ما يقول.

(١) قيل: هذه القرى هي مدائن كانت باليمن، والعموم ظاهر في السياق ولا داعي إلى حصره في مدائن اليمن بل هو شامل عاداً وثمود وأهل مدين والمؤتفكات، والقصم: الكسر يقال: قصم ظهر فلان: إذا كسره.

(٢) الإحساس: الإدراك بالحس فيكون برؤية ما يزعجهم أو سماع أصوات مؤذنة بالهلاك كالصواعق والرياح.

(٣) وهذا استهزاء بهم وتهكم وتقريع وتوبيخ لهم.

(٤) أي: الكلمة التي يكررونها وهي: يا ويلنا إنا كنا ظالمين حتى هلكوا عن آخرهم.

(٥) الحصد: جزّ الزرع والنبات بالمنجل لا باليد، وشاع إطلاق الحصيد على الزرع المحصود، والخامد الذي لا حراك له من خمدت النار إذا زال لهيبها.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

لاعبين : أي عابثين لا مقصد حَسَن لنا في ذلك .

لهوا : أي زوجة وولداً .

من لدنا : أي من عندنا من الحور العين أو الملائكة .

بل نقذف بالحق : أي نرمي بالحق على الباطل .

فيدمغه : أي يشج رأسه حتى تبلغ الشجة دماغه فيهلك .

فإذا هو زاهق : أي ذاهب مُضْمحِل .

ولكم الويل مما تصفون : أي ولكم العذاب الشديد من أجل وصفكم الكاذب للديان بأنَّ له زوجة وولداً وللرسول بأنه ساحر ومفترٍ .

وله من في السموات والأرض: خلقاً وملكاً وتدبيراً لا شريك له في ذلك .

ولا يستحسرون : أي لا يعيون ولا يتعبون فيتركون التسبيح .

لا يفترون : عن التسبيح لأنه منهم كالنفس منا لا يتعب أحدنا من التنفس ولا يشغله عنه شيء .

معنى الآيات :

كونه تعالى يهلك الأمم الظالمة بالشرك والمعاصي دليل أنه لم يخلق الإنسان والحياة

لعباً وعبثاً بل خلق الإنسان وخلق الحياة ليذكر ويشكر فمن أعرض عن ذكره وترك شكره أذاقـه بأساءه في الدنيا والآخرة وهذا ما دلت عليه الآية السابقة وقررته الآية وهي قوله تعالى : ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾[1] أي عابثين لا قصد حسن لنا بل خلقناهما بالحق وهو وجوب عبادتنا بالذكر والشكر لنا وقوله تعالى : ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾[2] أي صاحبة أو ولدا كما يقول المبطلون من العرب القائلون بأن الله أصهر إلى الجن فأنجب الملائكة وكما يقول ضُلاّلُ النصارى أن الله اتخذ مريم زوجة فولدت له عيسى الابن ، تعـالى الله عمـا يأفكـون فرد تعـالى هذا البـاطـل بالمعقـول من القـول فقـال لو أردنا أن نتخذ لهـواً نتلهى به من صاحبـة وولـد لاتخـذنـا من لدنـا من الحـور العين والمـلائكـة ولكنـا لم نرد ذلـك ولا ينبغي لنا إنا نملك كل من في السموات ومن في الأرض عبيداً لنا فكيف يعقل اتخاذ مملوك لنا ولداً ومملوكة زوجةً والناس العجزة الفقراء لا يجيزون ذلك فالرجل لا يجعل مملوكته زوجة له ولا عبده ولداً بحال من الأحوال وقوله تعالى : ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق﴾[3] فتلك الأباطيل والترهات تنزل حجج القرآن عليها فتدمغها فإذا هي ذاهبة مضمحلة لا يبقى منها شيء ﴿ولكم الويل﴾ أيها الكاذبون مما تصفون الله بالزوجة والولد والشريك والرسول بالسحر والشعر والكهانة والكذب العذاب لازم لكم من أجـل كذبكم وافترائكم على ربكم ورسوله . وقوله تعالى : ﴿وله من في السموات والأرض﴾ برهان آخر على بطلان دعوى أن له تعالى زوجة وولداً فالذي يملك من في السموات ومن في الأرض غنيٌّ عن الصاحبة والولد إذ الكل له مُلكاً وتصرفاً . وقوله : ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾[4] برهان آخر ﴿يسبحون الليل والنهار ولا

---

(١) ينفي تعالى أن يكون خلق السموات والأرض وما بينهما وما في السموات وما في الارض من عجائب المخلوقات وبدائع الصناعات وما بين السماء والأرض من السحب والأمطار ورياح وأجواء الفضاء ينفي أن يكون هذا الخلق العظيم لعباً : أي : لهواً وعبثاً بل خلق ما خلق لأعظم حكمة وأسماها وهي أن يعبد بذكره وشكره ، فلذا من كفر به تعالى فترك ذكره وشكره كان من شرّ خلقه واستوجب العذاب الأبدي الذي لا يخرج منه ولايموت فيه ولا يحيى .

(٢) الأية ردّ على افتراءات المبطلين جهلة البشر الذين نسبوا لله تعالى الصاحبة والولد بغير علم من عقل ولا نقل .

(٣) الدمغ : شج الرأس حتى تبلغ الشجة الدماغ ، والباطل هو الشيطان والحق : القرآن ، في قول مجاهد إذ قال كل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان .

(٤) لا يستحسرون أي : لا يعيون مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع من الإعياء والتعب يقال : حسر البعير يحسر حسوراً : أعيا وكلّ واستحسر وتحسر مثله .

يفترون﴾ أي فكيف يفتقر إلى الزوجة والولد، ومن عنده من الملائكة وهم لا يحصون عداً يعبدونه لا يستكبرون عن عبادته ولا يملون منها ولا يتعبون من القيام بها، يسبحونه الليل والنهار، والدهر كله ﴿لا يفترون﴾ أي لا يسأمون فيتركون التسبيح فترةً بعد فترة للاستراحة، إنهم في تسبيحهم وعدم سآمتهم منه وعدم انشغالهم عنه كالآدميين في تنفسهم وطرف أعينهم هل يشغل عن التنفس شاغل أو عن طرف العين آخر وهل يسأم الإنسان من ذلك والجواب لا، فكذلك الملائكة يسبحون الليل والنهار ولا يفترون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تنزه الرب تعالى عن اللهو واللعب والصاحبة والولد.

٢ـ حجج القرآن هي الحق متى رمى بها الباطل دمغته فذهب واضمحل.

٣ـ إقامة البراهين العقلية على إبطال الباطل أمر محمود، وقد يكون لابد منه.

٤ـ بيان غنى الله المطلق عن كل مخلوقاته.

٥ـ بيان حال الملائكة في عبادتهم وتسبيحهم لله تعالى.

أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

شـرح الكلـمات :

أم اتخذوا آلهة من الأرض : أيْ من معادنها كالذهب والفضة والنحاس والحجر .

هم ينشـرون : أي يحيون الأموات إذ لا يكون إلهاً حقاً إلا من يحيي الموتى .

لو كان فيهما : أي في السموات والأرض .

لفسـدتا : أي السموات والأرض لأن تعدد الآلهة يقتضى التنازع عادة وهو يقضي بفساد النظام .

فسبحان الله : أي تنزيه لله عما لا يليق بجلاله وكماله .

رب العـرش : أي خالقه ومالكـه والمختـص به .

عما يصـفون : أي الله تعالى من صفات النقص كالزوجة والولد والشريك .

لا يسأل عما يفعل: إذ هو الملك المتصرف، وغيره يسأل عن فعله لعجزه وجهله وكونه مربوباً .

قل هاتوا برهانكم : أي على مااتخذتم من دونه من آلهة ولا برهان لهم على ذلك فهم كاذبون .

هذا ذكر من معي : أي القرآن ذكر أمتى .

وذكر من قبلي : أي التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله الكل يشهد أنه لا إله إلا الله .

لا يعلمون الحق : أي توحيد الله ووجوبه على العباد فلذا هم معرضون .

فاعبـدون : أي وحدوني في العبادة فلا تعبدوا معي غيري إذ لا يستحق العبادة سواي .

معنى الآيـات :

يوبخ تعالى المشركين على شركهم فيقول: ﴿أم اتخذوا[1] آلهة من الأرض﴾ أي من أحجارها ومعادنها آلهة ﴿هم ينشرون﴾ أي يحيون الموتى ، والجواب كلا إنهم لا يحيون والـذي لا يحيي المـوتى لا يستحق الألوهية بحال من الأحوال. هذا ما دل عليه قوله

(١) الاستفهام هنا للجحد والإنكار أي: لم يتخذوا آلهة تقدر على الإحياء في وصف الألهة من الأرض تهكّم بعابديها ظاهر وتأنيب عجيب.

تعالى: ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينتشرون﴾ وفي الآية الثانية (٢١) يبطل تعالى دعواهم في اتخاذ آلهة مع الله فيقول: ﴿لو كان فيهما[١]﴾ أي في السموات والأرض آلهة غير الله تعالى لفسدتا لأن تعدد الآلهة يقتضي التنازع[٢] والتمانع هذا يريد أن يخلق كذا و هذا لا يريده هذا يريد أن يعطى كذا وذاك لا يريده فيختل نظام الحياة وتفسد، ومن هنا كان انتظام الحياة هذه القرون العديدة دالا على وحدة الخالق الواجب الوجود الذي تجب له العبادة وحده دون من سواه، فلذا نزه تعالى نفسه عن الشريك وما يصفه به المبطلون من الزوجة والولد فقال: ﴿فسبحان[٣] الله رب العرش عما يصفون﴾ وقرر ألوهيته وربوبيته المطلقة بقوله: ﴿لا يسأل[٤] عما يفعل وهم يُسئلون﴾ فالذي يفعل ولا يُسأل لعلمه وقدرته وملكه هو الإله الحق والذي يسأل عن عمله لم فعلت ولم تركت ويحاسب عليه ويجزى به لن يكون إلا عبداً مربوباً، وقوله في توبيخ آخر للمشركين: أم اتخذوا من[٥] دونه عز وجل آلهة يعبدونها؟ قل لهم يا رسولنا هاتوا برهانكم على صدق دعواكم في أنها آلهة، ومن أين لهم البرهان على احقاق الباطل؟ وقوله تعالى: ﴿هذا ذكر من[٦] معي﴾ أي من المؤمنين وهو القرآن الكريم به يذكرون الله ويعبدونه وبه يتعظون ﴿وذكر من قبلي﴾ أي التوراة والانجيل هل في واحد منها ما يثبت وجود آلهة مع الله تعالى. والجواب لا. إذاً فما هي حجة هؤلاء المشركين على صحة دعواهم، والحقيقة أن المشركين جهلة لا يعرفون منطقاً ولا برهاناً فلذا هم مُعْرِضُون وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق[٧] فهم معرضون﴾ فليسوا أهلاً لمعرفة الأدلة والبراهين لجهلهم فلذا هم معرضون عن قبول التوحيد وتقرير أدلته وحججه وبراهينه.

---

(١) هذه الجملة مقررة لما أنكره تعالى على المشركين من اتخاذهم آلهة من الأرض مبيّنة وجه الإنكار شارحة له أي: يستحيل أن يوجد آلهة حق مع الله تعالى. والبرهان مذكور في التفسير.

(٢) هذا ما يسمى بدليل أو برهان التمانع وأنه وإن كان فيه ما يرده إلا أنه في الجملة دليل مسكت للخصم مقنع لذي العقول.

(٣) إظهار اسم الجلالة في مكان الإضمار كان لتربية المهابة منه عزّ وجل إذ كان المفروض أن يقول سبحانه.

(٤) قال ابن جريج: لا يسأله الخلق عن قضائه فيهم وهو يسألهم عن أعمالهم لأنهم عبيده وبهذا انهدّ معتقد المشركين والقدريين معاً إذ الله لا يسأل عما يفعل وغيره يسأل فالذي يسأل ويحاسب ويجزي لن يكون إلهاً أبداً.

(٥) (أم) بمعنى: بل والاستفهام التعجبي أي: بل اتخذوا من دون الله الهة يا للعجب فليأتوا إذاً ببرهان عقلي على صحة دعواهم ومن أين لهم إذاً أفلا يتوبون.

(٦) زيادة على إقامة بطلان الشرك بشهادة القرآن كتاب الله وشهادة الكتب السابقة وفيها التهديد والوعيد للمشركين.

(٧) قرأ الحق بالرفع ابن محيسن والحسن على تقدير هذا هو الحق وقرأ الجمهور بالنصب مفعول أي: لا يعلمون الحق الذي هو القرآن العظيم فهم لا يتأملونه فحججه وبراهينه على إبطال الشرك ظاهرة

وقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من[1] رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ فلو كان المشركون يعلمون هذا لما أشركوا وجادلوا عن الشرك ، ولكنهم جهلة مغررون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ من أخص صفات الإله أن يخلق ويرزق ويحيي ويميت فإن لم يكن كذلك فليس بإله .

٢ـ وحدة النظام دالة على وحدة المنظم ، ووحدة الوجود دالة على وحدة الموجد وهذا برهان التمانع الذي يقرر منطقياً وجود الله ووجوب عبادته وحده .

٣ـ لا برهان على الشرك أبداً ، ولا يصح في الذهن وجود دليل على صحة عبادة غير الله تعالى .

٤ـ القرآن والتوراة وكل كتب الله متضافرة على تقرير توحيد الله تعالى .

٥ـ تقرير توحيد الله تعالى وإبطال الشرك والتنديد بالمشركين .

وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾

---

(١) هذا برهان آخر على إبطال الشرك إذ عامة الرسل جاءت بالتوحيد بلا إله إلا الله ، فكيف يصح إذاً إقرار الشرك والعمل به ، والآية كآية النحل : ﴿ولقد بعثنا في كل أمّة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ .

شرح الكلمات :

ولداً : أي من الملائكة حيث قالوا الملائكة بنات الله ، تعالى الله عن ذلك علواًكبيراً .

سبحانه : تنزيه له تعالى عن اتخاذ الولد .

بل عباد مكرمون : هم الملائكة ، ومن كان عبداً لا يكون ابناً ولا بنتاً .

لا يسبقونه بالقول : أي لا يقولون حتى يقول هو وهذا شأن العبد لا يتقدم سيده بشيء .

وهم بأمره يعملون : أي فهم مطيعون متأدبون لا يعملون إلا بإذنه لهم .

ولا يشفعون إلاّلمن ارتضى : أي إلاّ لمن رضي تعالى أن يشفع له .

مشفقون : أي خائفون .

من دونه : أي من دون الله كإبليس عليه لعائن الله .

كذلك نجزي الظالمين : أي لأنفسهم بالشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

بعد أن أبطلت الآيات السابقة الشرك ونددت بالمشركين جاءت هذه الآيات في إبطال باطل آخر للمشركين وهو نسبتهم الولد لله تعالى فقال تعالى عنهم و﴿قالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾[1] وهو زعمهم أن الملائكة بنات الله فنزه تعالى نفسه عن هذا النقص فقال ﴿سبحانه﴾ وأبطل دعواهم وأضرب عنها فقال ﴿بل عباد مكرمون﴾[2] أي فمن نسبوهم لله بنات له هم عباد له مكرمون عنده ووصفهم تعالى تعالى بقوله : ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ فهم لكمال عبوديتهم لا يقولون حتى يقول هو سبحانه وتعالى ، وهم يعملون بأمره فلا يقولون ولا يعملون إلا بعد إذنه لهم ، وأخبر تعالى أنه يعلم ما بين أيديهم[3] وما خلفهم فعلمه عز وجل محيط بهم ولا يشفعون لأحد من خلقه إلا لمن ارتضى أن يشفع[4] له فقال تعالى :

---

(١) قيل : هذه الآية نزلت في خزاعة حيث قالوا : الملائكة بنات الله تعالى وكانوا يعبدونهم يرجون شفاعتهم ، وفريتهم قائمة على أن الله تعالى أصهر إلى سروات الجنّ فأنجب الملائكة . تعالى الله علواً كبيراً .

(٢) (بل عباد مكرمون) أي : بل هم عباد مكرمون ، فعباد : خبر لمبتدأ محذوف ومكرمون : نعت للخبر .

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعلم ما عملوا وما هم عاملون كما يعلم ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الدنيا .

(٤) قال ابن عباس : هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله . وقال مجاهد : هم كل من رضي الله عنه . وهو أعم من الأوّل ، وأخص أيضاً باعتبار جهتين .

﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وزيادة على ذلك أنهم ﴿من خشيته مشفقون﴾ خائفون، وعلى فرض أن أحداً منهم قال إني إله من[1] دون الله فإن الله تعالى يجزيه بذلك القول جهنم وكذلك الجزاء نجزي الظالمين أي أنفسهم بالشرك والمعاصي، وبهذا بطلت فرية المشركين في جعلهم الملائكة بنات لله وفي عبادتهم ليشفعوا لهم عنده تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- إبطال نسبة الولد إلى الله تعالى من قبل المشركين وكذا اليهود والنصارى.

٢- بيان كمال عبودية الملائكة لله تعالى وكمال أدبهم وطاعتهم لربهم سبحانه وتعالى.

٣- بطلان دعوى المشركين في شفاعة الملائكة لهم، إذ الملائكة لا يشفعون إلا لمن رضى الله تعالى أن يشفعوا له.

٤- تقرير وجود شفاعة يوم القيامة ولكن بشروطها وهي أن يكون الشافع قد أذن له بالشفاعة، وأن يكون المشفوع له من أهل التوحيد فأهل الشرك لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى الْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

(١) في الآية دليل على أن الملائكة وإن أكرموا بالعصمة فهم متعبدون وليسوا مضطرين إلى العبادة اضطراراً بل شأنهم شأن المعصومين من الرسل يعبدون تعبّداً لا اضطراراً.

شـرح الكلـمات :

كانتا رتقا : أي كتلة واحدة منسدة لا انفتاح فيها .

ففتقناهما : أي جعلنا السماء سبع سموات والأرض سبع أرضين .

رواســي : أي جبالاً ثابتـة .

أي تميد بهم : أي تتحـرك فتميل بهم .

فجاجـا سبـلا : أي طرقاً واسعة يسلكونها تصل بهم إلى حيث يريدون .

لعلهم يهتدون : إلى مقاصدهم في أسفارهم .

وهم عن آياتها : من الشمس والقمر والليل والنهار معرضون .

كل في فلك يسبحون : الفلك كل شيء دائر .

معنـى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد ووجوب تنزيه الله تعالى عن صفات النقص والعجـز فقال تعالى : ﴿أو لم[1] ير الذين كفروا﴾ أي الكافرون بتوحيد الله وقدرته وعلمه ووجوب عبادته إلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته في هذه المخلوقات العلوية والسفلية فالسموات والأرض كانتا كتلة واحدة من سديم فخلق الله تعالى منها السموات والأرضين كمـا أن السمـاء تتفتق بإذنه تعالى عن الأمطار، والأرض تتفتق عن النباتات المختلفة الألوان والروائح والطعوم والمنافع، وأن كل شيء حيّ في هذه الأرض من إنسان وحيوان ونبات هو من الماء أليست هذه كلها دالة على وجود الله ووجوب عبادته وتوحيده فيها؟

فماللناس لا يؤمنون؟ هذا ما دل عليه قوله تعالى في الآية الأولى (٣٠) ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا[2] ففتقناهما وجعلنا[3] من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون؟﴾ وقوله تعالى : ﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت كيلا تميد أي

---

(١) قرأ الجمهور (أو لم ير) بالواو بعد همزة الاستفهام، وقرأ بعض : (ألم ير) بدون واو، بمعنى يعلم .

(٢) (رتقا) : الرتق : السدّ ضد الفتق، يقال : رتقت الفتق ارتقه فارتتق . أي : التأم، ومنه : امرأة رتقاء أي : منضمة الفرج غير مفتوق، والمراد أنّ السموات والأرض كانت شيئا واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما وما في التفسير إشارة إلى ما اختاره ابن جرير الطبري وهو: أن السماء كانت رتقا لا تمطر والأرض كانت رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات والآية دالة على الوجهين والوجهان صحيحان .

(٣) (جعلنا) بمعنى : خلقنا، وهذا اللفظ صالح للدلالة على أنّ كل شيء في هذه المخلوقات من الحيوان والنبات خلق من الماء، والثاني : أن حياة هذه المخلوقات تحفظ بالماء، وفي الحديث : (كل شيء خلق من الماء) . ذكره القرطبي رحمه الله تعالى .

تتحرك وتضطرب بسكانها، ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الأرض ﴿فجاجاً سبلاً﴾ أي طرقاً سابلة للسير فيها ﴿لعلهم يهتدون[1]﴾ أي كي يهتدوا إلى مقاصدهم في أسفارهم، وقوله: ﴿وجعلنا السماء[2] سقفاً محفوظاً﴾ من السقوط ومن الشياطين. وقوله: ﴿وهم عن آياتها﴾ من الشمس والقمر والليل والنهار إذ هذه آيات قائمة بها ﴿معرضون﴾ أي لا يفكرون فيها فيهتدوا إلى معرفة الحق عز وجل ومعرفة ما يجب له من العبادة والتوحيد فيها، وقوله: ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس[3] والقمر كل في فلك يسبحون[4]﴾ أي كل من الشمس والقمر في فلك خاص به يسبح الدهر كله، والفلك عبارة عن دائرة كفلكة المغزل يدور فيها الكوكب من شمس وقمر ونجم يسبح فيها لا يخرج عنها إذ لو خرج يحصل الدمار الشامل للعوالم كلها، فسبحان العليم الحكيم، هذه كلها مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي موجبة للتوحيد مقررة له، ولكن المشركين عنها معرضون لا يفكرون ولا يهتدون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده والإيمان به وطاعته.

٢- بيان الحكمة من خلق الجبال الرواسي.

٣- بيان دقة النظام الإلهي، وعظيم العلم والحكمة له سبحانه وتعالى.

٤- إعراض أكثر الناس عن آيات الله في الآفاق كإعراضهم عن آياته القرآنية هو سبب جهلهم وشركهم وشرهم وفسادهم.

---

(١) رجاء أن يهتدوا في سيرهم إلى ما يرومون من الديار والبلاد، ورجاء أن يهتدوا بذلك إلى الإيمان بالله وتوحيده.

(٢) سميت السماء سقفاً لأنها مرفوعة فوق الأرض مظلّلة لها كالسقف على الدّار.

(٣) هذه كلها منن الله تعالى على عباده وآيات قدرته وعلمه وحكمته وكلها موجبة للإيمان به وعبادته وتوحيده وإعراض الناس عن النظر والتدبر هو الذي حرمهم هداية الله تعالى.

(٤) (كل في فلك يسبحون): هذه جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً جوابا لمن سمع الآيات، فتساءل عن الشمس والقمر وعن باقي الأجرام السماوية قائلا: كيف لا يقع بينها تصادم ولايتخلّف بعضها فيحدث خلل في الكون والحياة فأجيب بقوله تعالى: ﴿كل في فلك يسبحون﴾.

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات :

الخلد : أي البقاء في الدنيا.

ذائقة الموت : أي مرارة مفارقة الجسد.

ونبلوكم : أي نختبركم.

بالشر والخير : فالشر كالفقر والمرض، والخير كالغنى والصحة.

فتنة : أي لأجل الفتنة لننظر أتصبرون وتشكرون أم تجزعون وتكفرون.

إن يتخذونك إلا هزواً : أي ما يتخذونك إلا هزواً أي مهزوءاً بك.

يذكر آلهتكم : أي يعيبها.

بذكر الرحمن هم كافرون : جيث أنكروا اسم الرحمن لله تعالى وقالوا: ما الرحمن؟

خلق الإنسان من عجل : حيث خلق الله آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة على عجل، فورث بنوه طبع العجلة عنه.

سأوريكم آياتي : أي سأريكم ما حملته آياتي من وعيد لكم بالعذاب في الدنيا والآخرة.

معنى الآيـــات :

كأنَّ المشركين قالوا شامتين إن محمداً سيموت، وقالوا نتربص به ريب المنون فأخبر تعالى أنه لم يجعل لبشر من قبل نبيّه ولا من بعده الخلد حتى يخلد هو ﷺ فكل نفس زائقة الموت، ولكن إن مات رسوله فهل المشركون يخلدون والجواب لا، إذاً فلا وجه للشماتة بالموت لو كانوا يعقلون. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٤) ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مِّتَّ فهم[1] الخالدون﴾ وقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت[2]﴾ أي كل نفس منفوسة ذائقة مرارة الموت بمفارقة الروح للبدن، والحكمة في ذلك أن يتلقى العبد بعد الموت جزاء عمله خيراً كان أو شراً، دل عليه قوله بعد: ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ من غِنى وفقر ومرض وصحة وشدة ورخاء ﴿فتنة﴾ أي لأجل فتنتكم أي اختباركم ليرى الصابر الشاكر والجزِع الكافر. وقوله تعالى: ﴿وإلينا ترجعون﴾ أي بعد الموت للحساب والجزاء على كسبكم خيره وشره.

وقوله تعالى: ﴿وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً﴾ يخبر تعالى رسوله بأن المشركين إذا رأوه ما يتخذونه إلا هزواً وذلك لجهلهم بمقامه وعدم معرفتهم فضله عليهم وهو حامل الهدى لهم، وبين وجه استهزائهم به ﷺ بقوله: ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي بعيبها وانتقاصها، قال تعالى: ﴿وهم بذكر الرحمٰن[3] هم كافرون﴾ أي عجباً لهم يتألمون لذكر آلهتم بسوء وهي محط السوء فعلاً، ولا يتألمون لكفرهم بالرحمن ربهم سبحانه وتعالى حتى إنهم أنكروا أن يكون اسم الرحمنْ اسماً لله تعالى وقالوا لا رحمنْ الا رحمن اليمامة.

وقـوله تعالى: ﴿خلق الإنسان مِن[4] عجل﴾ قال تعالى هذا لما استعجل المشركون

---

(١) الاستفهام مقدّر أي: أفهم الخالدون؟ وهو للنفي والإنكار كقول الشاعر:

رفوني وقالوا يا خويلد لا تُرع   فقلت وأنكـرت الوجـوه هـم هـم

أي: أهم؟ ومعنى رفوني سكّنوني يقال رفاه إذا سكنه.

(٢) يروى أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنشد واستشهد بالبيتين الآتيين:

تمنى رجال أن أمـوت وإن أمت   فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى   تهيـأ لأخـرى مثلها فكأنِ قد

(٣) عجباً لجهلهم وسوء فهمهم يعيبون من جحد إلهية أصنامهم وهم يجحدون إلهية الرحمن إنّ هذا لغاية الجهل والغرور.

(٤) إنّ طبع الإنسان العجلة إنه يستعجل الأشياء وإن كان فيها مضرّته، ولفظ الإنسان جائز ان يكون المراد به جنس الإنسان أو آدم عليه السلام قال سعيد بن جبير لما دخل الروح في عين آدم نظر في ثمار الجنة، فلما دخل جوفه اشتهى الطعام فوثب من قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك قوله: تعالى ﴿خلق الإنسان من عجل﴾.

العذاب وقالوا للرسول والمؤمنين: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ فأخبر تعالى أن الاستعجال[1] من طبع الإنسان الذي خلق عليه، وأخبرهم أنه سيريهم آياته فيهم بإنزال العذاب بهم وأراهم ذلك في بدر الكبرى وذلك في قوله ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ أي. فلا داعي إلى الاستعجال وقوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أخبر تعالى عن قيلهم للرسول والمؤمنين وهم يستعجلون العذاب: متى هاذ الوعد إن كنتم صادقين؟ وهذا عائد إلى ما فطر عليه الإنسان من العجلة من جهة، وإلى جهلهم وكفرهم من جهة أخرى وإلا فالعاقل لا يطالب بالعذاب بل يطالب بالرحمة والخير، لا بالعذاب والشر.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- إبطال ما شاع من أن الخضر حيٌّ مخلد لا يموت لنفيه تعالى ذلك عن كل البشر.

٢- بيان العلة من وجود خير وشر في هذه الحياة الدنيا وهي الاختبار.

٣- بيان ما كان عليه المشركون من الاستهزاء بالرسول ﷺ.

٤- تقرير حقيقة أن الإنسان مطبوع على العجلة فلذا من غير طبعه بالتربية فأصبح ذا أناة وتؤدة كان من أكمل الناس وأشرفهم.

لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ

(١) العجلة: السرعة، قيل: إن ضعف صفة الصبر في الإنسان من مقتضى التفكير في المحبة والكراهة، فإذا فكر في شيء محبوب استعجل حصوله، وإذا فكر في شيء مكروه استعجل إزالته، ومن هنا كان عجولاً.

ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلـمات :

لا يـكفون : أي لا يمنعون ولا يدفعون النار عن وجوههم.

بل تأتيهم بغتة : أي تأتيهم القيامة بغتة أي فجأة.

فتبهتهـم : أي تُـحيرهم.

ولاهم ينظرون : أي يمهلون ليتوبـوا.

وحـاق بهم : أي نزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون.

من يكلـؤكم : أي من يحفظكم ويحرسـكم.

من الرحـمن : أي من عذابه إن أراد إنزاله بكم.

بل هم عن ذكر ربهم معرضون : أي هم عن القرآن معرضون فلا يستمعون إليه ولا يفكرون فيه.

ولا هم منا يصحبون : أي لا يجدون من يجيرهم من عذابنا.

معنـى الآيـات :

يقول تعالى ﴿لو يعلم[1] الذين كفروا﴾ المستعجلون بالعذاب المطالبون به حين أي الوقت الـذي يُلقـون فيه في جهنم والنار تأكل وجوههم وظهورهم، ولا يستطيعون أن يمنعوا أنفسهم منها ولا هم ينصرون بمن يدفع العذاب عنهم لو علموا هذا وأيقنوا به لما طالبوا بالعذاب ولا استعجلوا يومه وهو يوم القيامة، هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿لو يعلم الذين[2] كفروا حين[3] لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ وقوله تعالى:

---

(١) جواب لو: محذوف تقديره: لما استعجلوا أي: لو عرف هؤلاء المستعجلون وقت لاتزول فيه النار عن وجوههم وعن ظهورهم لما استعجلوا العذاب.

(٢) جواب لو: محذوف كما تقدم آنفاً، والغرض من حذفه تهويل جنـسه فتذهب نفس السامع كل مذهب. وجملة: ﴿لو يعلمون..﴾ الخ مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٣) (حين) اسم زمان منصرف منصوب على المفعولية لا على الظرفية أي: لو علموا وقته وأيقنوا بحصوله لما كذّبوا به.

﴿بل تأتيهم[1] بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾ أي أن القيامة لا تأتيهم على علم منهم بوقتها وساعتها فيمكنهم بذلك التوبة، وإنما تأتيهم ﴿بغتة﴾ أي فجأة ﴿فتبهتهم﴾ أي فتحيرهم ﴿فلا يستطيعون ردها، ولاهم ينظرون﴾ أي يمهلون ليتوبوا من الشرك والمعاصي فينجوا من عذاب النار، وقوله تعالى: ﴿ولقد استهزيء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾ وهو العذاب هذا القول للرسول ﷺ تعزية له وتسلية ليصبر على ما يلاقيه من استهزاء قريش به واستعجالهم العذاب، إذ حصل مثله للرسل قبله فصبروا حتى نزل العذاب بالمستهزئين بالرسل عليهم السلام.

وقوله تعالى: ﴿قل من[2] يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ يأمر تعالى رسوله أن يقول للمطالبين بالعذاب المستعجلين له: ﴿من يكلؤكم بالليل والنهار﴾ أي من يجيركم من الرحمن إن أراد أن يعذبكم، إنه لا أحد يقدر على ذلك إذاً فلم لا تتوبون إليه بالإيمان والتوحيد والطاعة له ولرسوله، وقوله: ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ إن علة عدم استجابتهم للحق هي إعراضهم عن القرآن الكريم وتدبر آياته وتفهم معانيه. وقوله: ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ ينكر تعالى أن يكون للمشركين آلهة تمنعهم من عذاب الله متى نزل بهم ويقرر أن آلهتهم لا تستطيع نصرهم ﴿ولاهم منا يصحبون﴾ أي وليس هناك من يجيرهم من عذاب الله من آلهتهم ولا من غيرها فلا يقدر أحد على إجارتهم من عذاب الله متى حل بهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير أن الساعة لا تأتي إلا بغتة.

٢ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٣ـ تسلية الرسول ﷺ بما كان عليه الرسل من قبله وما لاقوه من أممهم.

---

(١) (بل): للاضراب الانتقالي من تهويل ما أعدّ لهم إلى التهديد بأن ذلك يحلّ بهم بغتة (أي فجأة).

(٢) يكلأكم: أي يحرسكم ويحفظكم إذ الكلاءة: الحفظ والحراسة يقال: كلاه الله كلاءة أي: حفظه وحرسه ومنه قول الشاعر:

إنّ سليمى والله يكلأها ... ضنّت بشيء ما كان يرزؤها

والاستفهام في: من يكلأكم: للنفي.

(٣) فسر يصحبون بيمنعون، ويجارون قال الشاعر:

ينادي بأعلى صوته متعوذاً ... ليصحب منها والرماح دواني

٤ـ بيان عجز الهة المشركين عن نصرتهم بدفع العذاب عنهم متى حل بهم.

٥ـ بيان أن علة إصرار المشركين على الشرك والكفر هو عدم إقبالهم على تدبر القرآن الكريم وتفكرهم في آياته وما تحمله من هدى ونور.

بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

متعنا هؤلاء وآباءهم : أي بما أنعمنا عليهم من الخيرات.

حتى طال عليهم العمر : فانغـرُّوا بذلك.

ننقصها من أطرافها : أي بالفتح على النبي ﷺ وأصحابه المؤمنين.

إنما أنذركم بالوحي : أي بأخبار الله تعالى التي يوحيها إلي وليس هناك شيء من عندي.

نفحـــة : أي وقعة من عذاب خفيفة.

يا ويلنا إنا كنا ظالمين : أي يقولون يا ويلنا أي يا هلاكنا.

إنا كنا ظالمين : أي بالشرك والتكذيب للرسول ﷺ.

الموازين القسط : أي العادلــة.

فلا تظلم نفس شيئاً : لا بنقص حسنة ولا بزيادة سيئة.

مثقال حبـة : أي زنة حبة من خردل.

وكفى بنا حاسبين : أي محصين لكل شيء.

معنى الآيـات:

مازال السياق في إبطال دعاوي المشركين فقال تعالى: ﴿بل متعنا هؤلاء[1]﴾ بما أنعمنا عليهم هم وآبــاؤهم فظنــوا أن آلهتهم هي الحــافـظة لهم بل الله هو الحـافظ حتى طال عليهم العمـر[2] فانغروا بذلـك. ﴿أفـلا يرون أنـا نأتي الأرض﴾ أرض الجزيرة بلادهم ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بدخول أهلها في الإسلام بلداً بعد بلد. ﴿أفهم[3] الغالبون﴾؟ الله هو الغالب حيث مكن لرسوله والمؤمنين وفتح عليهم، ثم أمر رسوله أن يقول لهم أيها المكذبون إنما أنذركم العذاب وأخوفكم من عاقبة شرككم بالوحي الإلهي لا من تلقاء نفسي، وقوله تعالى: ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ فالصم لحبهم الباطل الذي هم عليه لا يسمعون الدعاء إذا ما ينذرون وفي الخبر حبك الشيء يعمي ويصم فحبهم للشرك وآلهته جعلهم لا يسمعون فاستوى انذارهم وعدمه وقوله تعالى: ﴿ولئن[4] مَسَّتْهُمْ نفحة من عذاب ربك﴾ أي وقعة خفيفة من العذاب لصاحوا يدعون بالويل على أنفسهم قائلين ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾[5] فكيف بهم إذا وضعت الموازين العدل ليوم القيامة حيث لا تظلم نفس شيئاً وإن قل وإن كان مثقال حبة من حسنة أو سيئة أتينا بها ووزناها ﴿وكفى بنا حاسبين[6]﴾ أي محصين لأعمال العباد لعلمنا المحيط بكل شيء وقدرتنا التي لا يعجزها شيء.. ألا فلنتق الله أيها العقلاء!!

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أهل مكة. أي: بسطنا لهم ولآبائهم نعيمها.

(٢) (طال عليهم العمر) أي: في النعمة فظنوا أنها لا تزول عنهم؟ فانغروا وأعرضوا عن تدبّر حجج الله عز وجل.

(٣) المس: اتصال بظاهر الجسم، والنفحة: المرّة من النفح في العطية، يقال: نفحه بشيء إذا أعطاه. وما في التفسير مغنٍ عن هذا.

(٤) هذا اعتراف منهم في حين لا ينفع الاعتراف.

(٥) قيل: يجوز أن يكون لكل عامل ميزان خاص به فتكثر الموازين كما قال الشاعر:

ملك تقوم الحادثات لعدله فلكل حادثة لها ميزان

(٦) ضمير الجمع في (حاسبين): مراعى فيه ضمير العظمة، وهو منصوب على الحال أو التمييز لكفى

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ طول العمر والرزق الواسع كثيراً ما يُسبب الغرور لصاحبه .

٢ـ حب الشيء يعمي صاحبه حتى لا يرى إلا ما أحبه ويصمه بحيث لا يسمع إلا ما أحبه .

٣ـ بيان ضعف الإنسان وأن أدنى عذاب ينزل به لا يتحمله ويصرخ داعياً يا هلاكاه .

٤ـ تقرير البعث والحساب والجزاء .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

الفرقان : التوراة لأنها فارقة بين الحق والباطل كالقرآن .

وضياء : أي يهدي إلى الحق في العقائد والشرائع .

وذكراً : أي موعظة .

يخشون ربهم بالغيب : أي يخافون ربهم وهم لا يرونه في الدنيا فلا يعصونه بترك واجب ولا بفعل حرام .

وهم من الساعة مشفقون : أي وهم من أهوال يوم القيامة وعذابه خائفون .

وهذا ذكر مبارك : أي القرآن الكريم تنال بركته قارئه والعامل به .

أفأنتم له منكرون : الاستفهام للتوبيخ يوبخ تعالى من أنكر أن القرآن كتاب الله .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أنه آتى موسى وهارون الفرقان[1] أي الحق الذي فرق بين حق موسى وهارون

(١) وفسر الفرقان بالتوراة أيضاً وهو حق أيضاً وجائز أن يكون النصر، إذ معنى الفرقان: أنه ما يفرّق به بين الحق والباطل بالقول أو العمل.

وبين باطل فرعون، كما فرق بين التوحيد والشرك يوم بدر يوم الفرقان وآتاهما التوراة ضياء يستضـاء بها في معرفة الحلال والحرام والشرائع والأحكام وذكراً أي موعظة للمتقين، ووصف المتقين بصفتين: الأولى أنهم يخشون ربهم أي يخافونه بالغيب[(١)] أي وهم لا يرونه والثـانية: أنهم مشفقـون[(٢)] من الساعة أي مما يقع فيها من أهوال وعذاب وقوله تعالى: ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ يشير الى القرآن الكريم ويصفه بالبركة فبركته لا ترفع فكل من قرأه وعمل بما فيه نالته بركته قراءة الحرف الواحد منه بعشر حسنات لا تنقضي عجائبه ولاتكتنه أسراره ولا تكتشف كل حقائقه، هدى لمن استهدى، وشفاء لمن استشفى وقوله تعالى: ﴿أفأنتم له منكرون[(٣)]﴾ يوبخ به العرب الذين آمنوا بكتاب اليهود إذ كانوا يسألونهم عما في كتابهم، وكفروا بالقرآن الذي هو كتابهم فيه ذكرهم وشرفهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إظهار منة الله تعالى على موسى وقومه ومحمد وأمته بانزال التوراة على موسى والقرآن على محمد ﷺ.

٢ـ بيان صفات المتقين وهم الذين يخشون ربهم بالغيب فلا يعصونه بترك واجب ولا بفعل محرم: وهم دائما في اشفاق وخوف من يوم القيامة.

٣ـ الاشادة بالقرآن الكريم حيث أنزله تعالى مباركاً.

٤ـ توبيخ وتقريع من يكفر بالقرآن وينكر ما فيه من الهدى والنور.

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾

(١) قال القرطبي: (بالغيب) أي: غائبين لأنهم لم يروا الله تعالى بل عرفوا بالنظر والاستدلال أنّ لهم ربًّا قادراً يجازي على الأعمال فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس، والباء في: (بالغيب) بمعنى الفاء أي: يخشونه تعالى في الغيب.

(٢) الإشفاق: هو رجاء حادث مخوف.

(٣) الاستفهام للتعجب والتوبيخ.

قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ



شرح الكلمات :

رشـــده : أي هداه بمعرفة ربّه والإيمان به ووجوب طاعته والتقرب إليه .

التماثيـــل : جمع تمثال وهوالصورة المصنوعة على شبه إنسان أو حيوان .

التي أنتم لها عاكفون : أي مقبلون عليها ملازمون لها تعبداً .

أم أنت من اللاعبين : أي الهازلين غير الجادين فيما يقولون أو يفعلون .

ربكـم رب السموات : أي المستحق للعبادة مالك السموات والأرض .

الذي فطـرهـن : أي أنشأهن خلقاً وإيجاداً على غير مثال سابق .

لأكيدن أصنامكم : أي لأحتالن على كسر أصنامكم وتحطيمها .

جـذاذاً : فتاتـاً وقطعاً صغيرة .

إلا كبيراً لهم : إلا أكبر صنم لهم فإنه لم يكسره .

لعلهم إليه يرجعون : كي يرجعوا إليه فيؤمنوا بالله ويوحّدوه بعد أن يظهر لهم عجز آلهتهم .

معنى الآيـات :

على ذكر مامنّ به تعالى على موسى وهارون ومحمد ﷺ من إيتائه إياهم التوراة والقرآن ذكر أنه امتن قبل ذلك على إبراهيم فآتاه رشده في صباه فعرفه به وبجلاله وكماله ووجوب

الإيمان به تعالى وعبادته وحده، وإن عبادة من سواه باطلة، فقال تعالى: ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده من[1] قبل﴾ وقوله: ﴿وكنا به عالمين[2]﴾ أي بأهليته للدعوة والقيام بها لما علمناه ﴿إذ قال﴾ أي في الوقت الذي قال لأبيه أي آزر، وقومه منكراً عليهم عبادة غير الله ﴿ما هذه[3] التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ أي مقبلون عليها ملازمون لها فأجابوه بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ فأعلنوا عن جهلهم إذ لم يذكروا برهاناً على صحة أو فائدة عبادتها واكتفوا بالتقليد الأعمى وشأنهم في هذا شأن سائر من يعبد غير الله تعالى فإنه لا برهان له على صحة عبادة من يعبد إلا التقليد لمن رآه يعبده.

فرد عليهم ابراهيم بما أخبر تعالى عنه في قوله ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم﴾ أي الذين قلدتموهم في عبادة الأصنام ﴿في ضلال﴾ أي عن الهدى الذي يجب أن تكونوا عليه ﴿مبين﴾ لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، وردوا على إبراهيم قوله هذا فقالوا بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا أجئتنا بالحق[4]﴾ أي فيما قلت لنا من أنّا وآباءنا في ضلال مبين ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ أي في قولك الذي قلت لنا فلم تكن جاداً فيما تقول وإنما أنت لاعب لا غير ورد إبراهيم عليهم بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال بل[5] ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أي ليس ربكم تلك التماثيل بل ربكم الحق الذي يستحق عبادتكم الذي فطر السموات والأرض فأنشأهن خلقاً عجيباً من غير مثال سابق وأنا على كون ربكم رب السموات والأرض من الشاهدين إذ لا رب لكم غيره، ولا إله حق لكم سواه. ﴿وتالله﴾ قسماً به تعالى ﴿لأكيدن أصنامكم﴾ أي لأحتالن[6] عليها فأكسرها ﴿بعد أن تولوا مدبرين[7]﴾ أي بعد أن ترجعوا عنها وتتركوها وحدها.

---

(١) جائز أن يكون من قبل موسى وهارون وجائز أن يكون من قبل النبوة والوحي إليه والرشد: الصلاح.

(٢) أي: بأهليته لإيتاء الرشد وصالح للنبوّة، وجائز أن يكون عالمين به في الوقت الذي قال لأبيه وقومه: (ما هذه التماثيل) والظرف متعلق باذكر.

(٣) ظاهر السؤال أنه سؤال استعلام فلذا أجابوه بحسبه فقالوا: (وجدنا آباءنا لها عابدين)، وضمّن (عاكفون) معنى العبادة فعُدّي باللام.

(٤) الاستفهام للاستعلام أي: جئتنا بالحق في اعتقادك أم أنت مازح فيما تقول؟

(٥) أي: لست بلاعب ولا مازح (بل ربكم ربّ السموات. .) الخ.

(٦) أقسم لهم بالله على أنه لم يكتف بالمحاجة باللسان وإنما سيكيد أصنامهم فيكسرها وذلك لوثوقه بربه تعالى، ولتوطينه نفسه على مقاساة المكروه في الذبّ عن دين الله والتاء في تالله تختص بالقسم بالله وحده، والواو تختص بكل اسم ظاهر والباء بكل مضمر ومظهر.

(٧) (مدبرين) حال مؤكدة لعاملها.

وفعلاً لما خرجوا إلى عيد لهم يقضون يوماً خارج المدينة أتى تلك التماثيل فكسرها فجعلها قطعاً متناثرة هنا وهناك إلا صنماً كبيراً لهم تركه[1] ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ أي يرجعون إلى إبراهيم فيعبدون معه ربّه سبحانه وتعالى عندما يتبيّنُ لهم بطلان عبادة الأصنام لأنها لم تستطع أن تدفع عن نفسها فكيف تدفع عن غيرها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ مظاهر إنعام الله وإكرامه لمن اصطفى من عباده.

٢ـ تقرير النبوة والتوحيد، والتنديد بالشرك والمشركين.

٣ـ ذم التقليد وأنه ليس بدليل ولا برهان للمقلد على ما يعتقد أو يفعل.

٤ـ مشروعية الشهادة وفضلها في مواطن تعز فيها ويحتاج إليها.

٥ـ تغيير المنكر باليد لمن قدر عليه مقدم على تغييره باللسان والجمع بينهما أفضل.

قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾

شرح الكلمات:

بآلهتنا : أي بأصنامهم التي سموها آلهة لأنهم يعبدونها ويؤلهونها

---

(١) تركه لم يكسره وعلّق الفأس في عنقه. وقوله: (لعلهم إليه يرجعون): جائز أن يكون المراد بالرجوع إلى الصنم في تكسيرها، وما في التفسير أولى وأصوب.

فتى يذكـرهم : أي بالعيب والإنتقاص.

على أعين الناس : أي ظـاهراً يرونه بأعينهـم.

يشـهدون : أي عليه بأنه الذي كسر الآلهة، ويشهدون العقوبة التي ننزلها به.

أأنت فعلت هذا : هذه صيغة الاستنطاق والاستجواب.

بل فعله كبيرهم هذا : أشار إلى أصبعه نحو الصنم الكبير الذي علق به الفاس قائلاً بل فعله كبيرهم هذا وَوَرَّى بإصبعه تحاشيا للكذب.

فرجعوا إلى أنفسهم : أي بعـد التفكـر والتأمل حكموا على أنفسهم بالظلم لعبادتهم مالا ينطق.

نكسوا على رؤوسهم : أي بعد اعترافهم بالحق رجعوا إلى اقرار الباطل فكانوا كمن نكس فجعل رأسه أسفل ورجلاه أعلى.

ما هؤلاء ينطقـون : فكيف تطلب منا أن نسألهـم.

معنـى الآيـات :

ما زال السياق الكريم فيما دار بين إبراهيم الخليل وقومه من حوار حول العقيدة انه لما استغـل ابـراهيم فرصـة خروج القوم إلى عيدهم خارج البلد ودخل البهو فكسر الآلهة فجعلها قطعاً متناثرة وعلق الفأس بكبير الآلهة المزعومة وعظيمها وخرج فلما جاء المساء وعادوا إلى البلد ذهبوا إلى الآلهة المزعومة لأخذ الطعام الموضوع بين يديها لتباركه في زعمهم واعتقادهم الباطل وجدوها مهشمة مكسرة صاحوا قائلين: ﴿من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين﴾ فأجاب بعضهم بعضاً قائلا: ﴿سمعنا[1] فتى يذكرهم﴾ أي شاباً يذكر الآلهة بعيب وازدراء، واسمه إبراهيم، وهنا قالوا إذاً ﴿فأتوا به على أعين[2] الناس﴾ لنشاهده ونحقق معه فإذا ثبت أنه هو عاقبناه وتشهد الناس عقوبته فيكون ذلك نكالاً لغيره، وجاءوا به عليه السلام وأخذوا في استنطاقه فقالوا ما أخبر تعالى به عنهم: ﴿أأنت فعلت هذا﴾

(١) جائز أن يكون إبراهيم لما قال: متوعداً أصنامهم (تالله لأكيدن أصنامكن) كان هناك من سمعه من ضعفة القوم أو سمعه من سمعه يعيب الآلهة قبل أن يتوعدها بالكسر.

(٢) في هذا دليل على أنه كان لا يؤاخذ أحد بدعوى أحد قد لا تثبت بل لابد من التحري حتى تثبت أو لا تثبت كما هو في شرعنا الإسلامي.

أي التكسير والتحطيم ﴿يا إبراهيم﴾؟ فأجابهم بما أخبر تعالى به عنه بقوله: ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا﴾[1] يشير بأصبعه إلى كبير الآلهة تورية، ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ تقريعاً لهم وتوبيخاً وهنا رجعوا الى أنفسهم باللائمة فقالوا: ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ أي حيث تألهون مالا ينطق ولا يجيب ولا يدفع عن نفسه فكيف عن غيره ، وقوله تعالى: ﴿ثم نكسو على رؤوسهم﴾[2] أي قلبهم الله رأساً على عقب فبعد أن عرفوا الحق ولاموا على أنفسهم عادوا إلى الجدال بالباطل فقالوا: ﴿لقد علمت﴾ أي يا إبراهيم ما ﴿هؤلاء ينطقون﴾ فكيف تطلب منا أن نسألهم وأنت تعلم أنهم لا ينطقون. كما أن اعترافهم بعدم نطق الآلهة المدعاة إنتكاس منهم إذ اعترفوا ببطلان تلك الآلهة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ الظلم معروف لدى البشر كلهم ومنكر بينهم ولولا ظلمة النفوس لما أقروه بينهم.

٢ـ إقامة البيّنة على الدعاوي أمر مقرر في عرف الناس وجاءت به الشرائع من قبل.

٣ـ أسلوب المحاكمة يعتمد على الاستنطاق والاستجواب أولا.

٤ـ مشروعية التورية خشية القول بالكذب.[3]

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ

(١) قوله: (بل فعله كبيرهم هذا) قاله من أجل أن يقولوا: إنهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرّون فيقول لهم: فلم تعبدونهم إذاً؟! فتقوم له الحجة عليهم من أنفسهم ولذا يجوز فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه فإنه أقطع للشبهة وأقرب في الحجة.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أدركهم الشقاء فعادوا إلى كفرهم.

(٣) الكذب: هو الاخبار بما يخالف الواقع، والتورية: أن يقول أو يفعل شيئاً ويوري بغيره تجنباً للكذب، وفي الحديث الصحيح: (لم يكذب ابراهيم النبي في شيء قط إلا في ثلاث: قوله: إني سقيم، وقوله لسارة: أختى، وقوله: بل فعله كبيرهم) وهي في الواقع معاريض وليست بالكذب الصريح، وكانت في ذات الله تعالى.

﴿فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾

شـرح الكلـمات :

مالا ينفعكم شيئاً : أي آلهة لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم إن أرادت ضركـم .

أفٍ لكم : أي قبحاً لكـم ولما تعبدون من دون الله .

قالوا : حرقوه : أي أحرقوه بالنار إنتصاراً لألهتكم التي كسرها .

برداً وسلاماً : أي على إبراهيم فكانت كذلك فلم يحرق منه غير وثاقه «الحبل الذ ي وثق به» .

كيـــداً : وهو تحريقه بالنار للتخلص منه .

فجعلناهم الأخسرين : حيث خرج من النار ولم تحرقه ونجا من قبضتهم وذهب كيدهم ولم يحصلوا على شيء .

ونجيناه ولوطاً : أي ابن أخيـه هاران .

التي باركنا فيها : وهي أرض الشـــام .

ويعقوب نافلة : زيادة على طلبه الولد فطلب ولداً فأعطاه ما طلب وزاده آخر .

وكلاً جعلنا صالحين : أي وجعلنا كل واحد منهم صالحاً من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله كاملة وحقوق الناس كذلك .

معنى الأيـات :

يخبر تعالى أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه منكراً عليهم عبادة الهتهم ﴿أفتعبدون[1]

---

(١) الاستفهام للانكار والتوبيخ والتقريع .

من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم﴾ أي أتعبدون آلهة دون الله علمتم أنها لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم ولا تنطق إذا استنطقت ولا تجيب إذا سئلت ﴿أُفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ أي قبحاً لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله الخالق الرازق الضار النافع ﴿أفلا تعقلون﴾[1] قبح عبادتها وباطل تأليهها وهي جماد لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر وهنا أجابوا[2] بما أخبر تعالى به عنهم فقالوا: ﴿حرقوه﴾[3] أي أحرقوا إبراهيم بالنار ﴿وانصروا آلهتكم﴾ التي أهانها وكسرها ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أي مريدين نصرتها حقاً وصدقاً. ونفذوا ما أجمعوا عليه وجمعوا الحطب وأججوا النار في بنيان خاص وألقوه فيه بواسطة منجنيق لقوة لهبها وشدة حرها[4] وقال تعالى للنار ما أخبر به في قوله: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت كما طلب منها ولم تحرق غير وثاقه الحبل الذي شدت به يداه، ورجلاه ولو لم يقل وسلاماً لكان من الجائز أن تنقلب النار جبلاً من ثلج ويهلك به إبراهيم عليه السلام. روى أن والد إبراهيم لما رأى إبراهيم لم تحرقه النار وهو يتفصد عرقاً قال: نعم الرب ربك يا إبراهيم! وقوله تعالى: ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ أي أرادوا بإبراهيم مكراً وهو إحراقه بالنار فخيَّب الله مسعاهم وأنجى عبده وخليله من النار وأحبط عليهم ما كانوا يأملون فخسروا في كل أعمالهم التي أرادوا بها إهلاك إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿ونجيناه ولوطاً﴾[5] أي ونجينا إبراهيم وابن أخيه هاران وهو لوط ﴿إلى الأرض التي باركنا[6] فيها للعالمين﴾ وهي أرض الشام فنزل إبراهيم

---

(١) الاستفهام للتوبيخ والتأنيب.

(٢) بعد أن أعيتهم الحجة وانقطعوا ببيان اللسان لاذوا إلى قوة السنان، وهذا شأن الإنسان إذا كتب عليه الخسران، والعياذ بالرحمن.

(٣) روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ومجاهد وابن جريج: أنّ الذي قال حرّقوه: رجل من الأكراد من بادية فارس واسمه هيزرُ وخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة: وقيل: إن القائل: ملكهم نمرود. والله أعلم.

(٤) روي أنهم جمعوا الحطب في مدة شهر كامل ولما ألقوه في النار عرض له جبريل عليه السلام فقال: يا براهيم ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل. وقال عليّ وابن عباس رضي الله عنهم لو لم يتبع بردها سلاماً لمات ابراهيم من بردها ولم تبق دابة في المنطقة إلاّ أطفأت عن إبراهيم النار إلاّ الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه فلذا أمر الرسول ﷺ بقتلها وسمّاها الفويسقة.

(٥) هذه النجاة ثانية. الأولى كانت من النار وهذه من ديار الكفار، إذ هاجر من أرض الكلدانيين إلى أرض فلسطين، وهي بلاد الكنعانيين يومئذٍ، وهجرة ابراهيم هذه أول هجرة في تاريخ الإسلام، إذ خرج ابراهيم وابن أخيه لوط بن هاران وزوجه وابنة عمه سارة عليهم السلام، ونصب لوط على المفعول معه، وضمّن فعل نجينا معنى الإخراج فعدي بإلى.

(٦) قيل لها مباركة لكثرة خصبها وأنهارها وثمارها ولأنها معادن الأنبياء والبركة ثبوت الخير، ومنه برك البعير. إذا لزم مكانه ولم يبرحه.

بفلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي قرى قوم لوط التى بعد دمارها استحالت الى بحيرة غير صالحة للحياة فيها وقوله: ﴿باركنا فيها للعالمين﴾ أي بارك في أرزاقها بكثرة الاشجار والانهار والثمار لكل من ينزل بها من الناس كافرهم ومؤمنهم لقوله: ﴿للعالمين﴾ وقوله تعالى: ﴿ووهبنا له﴾ أي لإبراهيم اسحق حيث سأل الله تعالى الولد، وزاده يعقوب نافلة[1] وقوله: ﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ أي وجعلنا كل واحد منهم من الصالحين الذين يعبدون الله بما شرع لهم فأدوا حقوق الربِّ تعالى كاملة، وأدوا حقوق الناس كاملة وهذا نهاية الصلاح.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان قوة حجة إبراهيم عليه السلام، ومتانة أسلوبه في دعوته[2] وذلك مما آتاه ربّه.

٢ـ مشروعية توبيخ أهل الباطل وتأنيبهم.

٣ـ آية إبطال مفعول النار فلم تحرق إبراهيم إلا وثاقه لما أراد الله تعالى ذلك.

٤ـ قوة التوكل على الله كانت سبب تلك المعجزة إذ قال إبراهيم حسبي الله ونعم الوكيل.

فقـال الله تعالى للنار: ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت، وكفاه ما أهمه بصدق توكله عليه، ويؤثر أن جبريل عرض له قبل أن يقع في النار فقال هل لك يا إبراهيم من حاجة؟ فقال إبراهيم: أمَّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل.

٥ـ تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين.

٦ـ خروج إبراهيم من أرض العراق إلى أرض الشام كانت أول هجرة في سبيل الله في التاريخ.

وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ

---

(١) نافلة: منصوب على الحال وصاحبها: اسحق ويعقوب والنافلة الزيادة غير الموعودة.

(٢) قال تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه﴾ من سورة الأنعام.

ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

أئمـــة : أي يقتدى بهم في الخير.

يهدون بأمرنـا : أي يرشـدون الناس ويعلمونهم ما به كمالهم ونجاتهم وسعادتهم بإذن الله تعالى لهم بذلك حيث جعلهم رسلاً مبلغين .

وكانوا لنا عابدين : أي خاشعين مطيعين قائمين بأمـرنا .

ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً : أي أعطينا لوطاً حكماً أي فصـلا بين الخصوم وفقهاً في الدين وكل هذا يدخل تحت النبوة والرسالة وقد نبأه وأرسله .

تعمل الخبائث : كاللواط وغيره من المفاسد .

فاســقين : أي عصاة متمردين عن الشرع تاركين للعمل به .

ونوحاً إذ نادى من قبل : أي واذكر نوحاً إذ دعا ربّه على قومه الكفرة .

من الكرب العظيم : أي من الغرق الناتج عن الطوفان الذي عم سطح الأرض .

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكـريم في ذكر أفضال الله تعالى على إبراهيم وولده فقال تعالى : ﴿وجعلنـاهم﴾ أي إبـراهيم واسحق ويعقـوب أئمـة هداة يقتـدى بهم في الخير ويهـدون النـاس إلى

دين الله تعالى الحق بتكليف الله تعالى لهم بذلك حيث نبأهم وأرسلهم. وهو معنى قوله تعـالى: ﴿وجعلنـاهم أئمة يهدون بأمرنا﴾[1] وقوله: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ أي أوحينا إليهم بأن يفعلوا الخيرات جمع خير وهو كل نافع غير ضار فيه مرضاة لله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة. وقوله تعالى: ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ أي امتثلوا أمرنا فيما أمرناهم به وكانوا لنا مطعين خاشعين وهو ثناء عليهم بأجمل الصفات وأحسن الأحوال وقوله تعالى: ﴿ولوطاً[2] آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث[3] إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ أي وكما آتينا إبراهيم وولديه ما آتيناهم من الإفضـال والإنعام الذي جاء ذكره في هذا السياق آتينا لوطاً وقد خرج مهاجراً مع عمه إبراهيم آتيناه أيضاً حكماً وعلماً ونبوة ورسالة متضمنة حسن الحكم والقضاء وأسرار الشرع والفقه في الدين. هذه منة وأخرى أنا نجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث وأهلكنا أهلها لأنهم كانوا قوم سوء لا يصدر عنهم الا ما يسوء إلى الخلق فاسقين عن أمرنا خارجين عن طاعتنا، وقوله: ﴿وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾ وهذا إنعام آخر أعظم وهو ادخاله في سلك المرحومين برحمة الله الخاصة لأنه من عباد الله الصالحين.

وقوله تعالى: ﴿ونوحاً﴾ أي واذكر يا رسولنا في سلك هؤلاء الصالحين عبدنا ورسولنا نوحـاً الوقت الذي نادى ربه من قبل إبراهيم[4] فقال إني مغلوبٌ فانتصر، ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكربِ[5] العظيم﴾ حيث نجاه تعالى وأهله إلا امرأته وولده كنعان فإنهما لم يكونا من أهله لكفرهما وظلمهما فكانا من المغرقين. وقوله: ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي ونصرناه بإنجائنا له منهم فلم يمسوه بسوء، وأغرقناهم أجمعين لأنهم كانوا قوم سوء فاسقين ظالمين[6].

---

(١) وجائز أن يكون معنى (بأمرنا): أي: بما أنزلنا عليهم بوحينا من الأمر والنهي كأنه قال: بكتابنا وما بيّنا فيه من التشريع المحقق للآخذين به سعادة الدنيا والآخرة والأئمة جمع إمام وهو الرئيس الذي يقتدى به في الخير لا في الشر.

(٢) (ولوطاً): منصوب على الاشتغال أي: وآتينا لوطاً آتيناه. والحكم: الحكمة وهو النبوة والعلم علم الشريعة.

(٣) الخبائث: جمع خبيثة وهي الفعلة الشنيعة، ومن خبائثهم: اللواط، والتضارط في الأندية وحذف الحصى، والتحريش بين الديك والكلاب. والقرية هي سدوم وعمورة، وما حولهما إذ كانت سبع مدن قلب جبريل منها ستة وأبقى واحدة للوط وعياله وهي: زغر من كورة فلسطين.

(٤) من قبل ابراهيم ولوط عليهما السلام.

(٥) الكرب: هو الغمّ الشديد وهو هنا: الطوفان.

(٦) السوء: بفتح السين مصدر: القبيح المكروه من القول والفعل وبضم السين اسم مصدر وهو أعم من السوء بفتح السين.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف القائمين بها .

٢ـ فضل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات .

٣ـ ثناء الله تعالى على أوليائه وصالحي عباده بعبادتهم ، وخشوعهم له .

٤ـ الخبث إذا كثر في الأمة استوجبت الهلاك والدمار .

٥ـ التنديد بالفسق والتحذير من عواقبه فإنها مدمرة والعياذ بالله .

٦ـ تقرير النبوة المحمدية وتأكيدها إذ مثل هذا القصص لا يتأتى الا لمن يوحى إليه .

وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

شـرح الكلـمات :

فـي الحـرث : أي في الكرم الذي رعته الماشية ليلا .

نفشت فيـه[1] : أي رعته ليلاً بدون راع .

(١) النفش : الرعي ليلا والهمل : الرعي بالنهار.

شاهدين	: أي حاضرين صدور حكمهم في القضية لا يخفى علينا شيء من ذلك.
ففهمناها	: أي القضية التي جرى فيها الحكم.
وكلًا آتينا حكماً وعلماً	: أي كلًا من داود وولده سليمان أعطيناه حكماً أي النبوة وعلماً بأحكام الله وفقهها.
يسبحن	: أي معه إذا سبح.
وكنا فاعلين	: أي لما هو أغرب وأعجب من تسبيح الجبال والطير فلا تعجبوا.
صنعة لبوس لكم	: هي الدروع وهي من لباس الحرب.
لتحصنكم	: أي تقيكم وتحفظكم من ضرب السيوف وطعن الرماح.
فهل أنتم شاكرون	: أي اشكروا فالاستفهام معناه الأمر هنا.
إلى الأرض التي باركنا	: أي أرض الشام.
يغوصون	: أي في أعماق البحر لاستخراج الجواهر.
ويعملون عملًا دون ذلك	: أي دون الغوص كالبناء وغيره وبعض الصناعات.
وكنا لهم حافظين	: أي لأعمالهم حتى لا يفسدوها.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إفضالات الله تعالى وإنعامه على من يشاء من عباده، وفي ذلك تقرير لنبوة نبيه محمد ﷺ التي كذبت بها قريش فقال تعالى: ﴿وداود وسليمان﴾ أي واذكر يانبينا داود وسليمان ﴿إذ يحكمان في الحرث﴾ أي اذكرهما في الوقت الذي كانا يحكمان في الحرث الذي ﴿نفشت فيه غنم القوم﴾ أي رعت فيه ليلًا بدون راع فأكلته وأتلفته ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ حاضرين لا يخفى علينا ما حكم به كل منهما، إذ حكم داود بأن يأخذ صاحب الحرث الماشية مقابل ما أتلفته لأن المتلف يعادل قيمة الغنم التي أتلفته، وحكم سليمان بأن يأخذ صاحب الماشية الزرع يقوم عليه حتى يعود كما كان، ويأخذ صاحب الحرث الماشية يستغل صوفها ولبنها وسخالها فإذا

ردت إليه كرومه كما كانت أخذها ورد الماشية لصاحبها لم ينقص منها شيء هذا الحكم أخبر تعالى أنه فهم فيه سليمان وهو أعدل من الأول وهو قوله تعالى: ﴿ففهمناها﴾[1] أي الحكومة أو القضية أو الفتيا سليمان، ولم يعاتب داود على حكمه، وقال: ﴿وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾[2] تلافياً لما قد يظن بعضهم أن داود دون ولده في العلم والحكم.

وقوله: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ هذا ذكر لبعض ما أنعم به على داود عليه السلام وهو أنه سخر الجبال والطير تسبح معه إذا سبح سواء أمرها بذلك فأطاعته أو لم يأمرها فإنه إذا صلى وسبح صلت معه وسبحت، وقوله: ﴿وكنا فاعلين﴾ أي لما هو أعجب من تسخير الجبال والطير تسبح مع سليمان لأنا لا يعجزنا شيء وقد كتب هذا في كتاب المقادير فأخرجه في حينه، وقوله تعالى: ﴿وعلمناه﴾ أي داود ﴿صنعة لبوس[3] لكم﴾ وهي الدورع السابغة التي تقي لاسبها طعن الرماح وضرب السيوف بإذن الله تعالى فهي آلة حرب ولذا قال تعالى ﴿لتحصنكم من[4] بأسكم﴾ ﴿فهل أنتم[5] شاكرون؟﴾ أمر لعباده بالشكر على إنعامه عليهم والشكر يكون بحمد الله تعالى والإعتراف بإنعامه، وطاعته وصرف النعمة فيما من أجله أنعم بها على عبده، وقوله ﴿ولسليمان﴾ أي وسخرنا لسليمان ﴿الريح عاصفة﴾ شديدة السرعة ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ إذْ يخرج غازياً أول النهار وفي آخره تعود به الريح تحمل بساطه الذي هو كأكبر سفينة حربية اليوم إلى الأرض التي بارك الله وهي أرض الشام. وقوله: ﴿وكنا بكل شيء عالمين﴾ يخبر تعالى أنه كان وما زال عليماً بكل شيء ما ظهر للناس وما غاب عنهم فكل أحداث الكون تتم حسب علم الله وإذنه وتقديره وحكمته فلذا وجبت له الطاعة واستحق الألوهة والعبادة.

---

(١) يروى أن سليمان كان على باب المحكمة فإذا خرج الخصمان سألهما بم قضى بينكما نبي الله داود؟ فقال: قضى بالغنم لصاحب الحرث فقال: لعل الحكم غير هذا انصرفا معي فأتى أباه فقال: يا نبي الله إنك حكمت بكذا وكذا وإني رأيت ما هو أرفق بالجميع فقال وما هو؟ فقال: ينبغي أن تدفع الغنم إلى صاحب الحرث إلى آخر ما هو في التفسير.

(٢) اختلف هل كان حكمهما بوحي أو باجتهاد فإن كان بوحي فهو نسخ للحكم الأول بالثاني، وإن كان باجتهاد وهو ما عليه الجمهور، ولم يخطىء داود ولكن الحكم الذي ألهمه سليمان كان أرفق بالطرفين.

(٣) هذا مع إلانة الحديد له فقال تعالى في سورة سبأ: ﴿وألنا له الحديد أن اعمل سابغات﴾ واللبوس في العربية: سلاح الحرب من سيف ورمح ودرع وغيرها واللبوس أيضاً: كل ما يلبس قال الشاعر:

إلبس لكل حالة لبوسها   إمّا نعيمها وإما بؤسها

(٤) قرأ حفص: (لتحصنكم) بالتاء أي: الدروع، وقرأ نافع (ليحصنكم): أي: اللبوس وقرأ ورش لنُحصنكم بالنون، والإحصان: الوقاية والحماية وفي الآية دليل على وجوب الصناعة على الكفاية.

(٥) الاستفهام هنا للأمر بالشكر.

وقوله: ﴿ومن الشياطين من يغوصون[1] له﴾ أي وسخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في أعماق البحار لاستخراج الجواهر، ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ كالبناء وصنع التماثيل والمحاريب والجفان وغير ذلك. وقوله تعالى: ﴿وكنا لهم حافظين﴾ أي وكنا لأعمال أولئك العاملين من الجن حافظين لها عالمين بها حتى لا يفسدوها بعد عملها مكراً منهم أو خديعة فقد روى أنهم كانوا يعملون ثم يفسدون ما عملوه حتى لا ينتفع به.

هذا كله من إنعام الله تعالى على داود وسليمان وغيره كثير فسبحان ذي الأنعام والافضال إله الحق ورب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب نصب القضاة للحكم بين الناس.

٢- بيان حكم الماشية ترعى في حرث الناس وإن كان شرعنا على خلاف شرع من سبقنا فالحكم عندنا إن رعت الماشية ليلاً قوم المتلف على صاحب الماشية ودفعه لصاحب الزرع، وإن رعت نهاراً فلا شيء لصاحب الزرع لأن عليه أن يحفظ زرعه من أن ترعى فيه مواشي الناس لحديث العجماء جبار وحديث ناقة البراء بن عازب.

٣- فضل التسبيح.

٤- وجوب صنع آلة الحرب واعدادها للجهاد في سبيل الله.

٥- وجوب شكر الله تعالى على كل نعمة تستجد للعبد.

٦- بيان تسخير الله تعالى الجن لسليمان يعملون له أشياء.

٧- تقرير نبوة الرسول ﷺ إذ من أرسل هؤلاء الرسل وأنعم عليهم بما أنعم لا يستنكر عليه إرسال محمد رسولاً وقد أرسل من قبله رسلاً.

٨- كل ما يحدث في الكون من أحداث يحدث بعلم الله تعالى وتقديره ولحكمة تقضيه.

---

(١) الغوص: النزول تحت الماء، والغوّاص: الذي يغوص لاستخراج اللآليء وفعله يقال له: الغواصة على وزن حياكة (مهنة).

۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

وأيوب : أي واذكر أيوب.

إذ نادى ربه : أي دعاه لما ابتلى بفقد ماله وولده ومرض جسده.

مسني الضر : هو ما ضر بجسمه أو ماله أو ولده.

وذكرى للعابدين : أي عظة للعابدين، ليصبروا فيثابوا.

وأدخلناهم في رحمتنا : بأن نبأناهم فانخرطوا في سلك الأنبياء إنهم من الصالحين.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إفضالات الله تعالى وإنعامه على من شاء من عباده الصالحين فقوله تعالى في الآية الأولى (٨٣) ﴿وأيوب﴾ أي واذكر عبدنا في شكره وصبره وسرعة أَوْبتَه، وقد ابتليناه بالعافية والمال والولد، فشكر وابتليناه بالمرض وذهاب المال والأهل والولد فصبر. أذكره ﴿إذ نادى ربه﴾ أي داعياً ضارعاً بعد بلوغ البلاء منتهاه ربّ

أي يا رب ﴿إني مسني[1] الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿فكشفنا ما به من ضر وآتينـاه أهله﴾ من زوجة وولد ﴿ومثلهم معهم﴾ أي ضاعف له ما أخذه منه بالابتلاء بعد الصبر وأما المال فقد ذكر النبي ﷺ أنه أنزل عليه رَجْلاً من جَرَادٍ من ذهب فكان أيوب يحثو في ثوبه حثيثاً فقال له ربّه في ذلك فقال من ذا الذي يستغنى عن بركتك يا رب. وقوله تعالى: ﴿رحمة من عندنا﴾ أي رحمناه رحمة خاصة، وجعلنا قصته ذكرى وموعظة للعابدين لنا لما نبتليهم بالسراء والضراء فيشكرون ويصبرون ائتساء بعبدنا أيوب ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل[3]﴾ أي واذكر في عداد المصطفين من أهل الصبر والشكر اسماعيل بن ابراهيم الخليل، وادريس وهو اخنوخ وذا الكفل ﴿كل من الصابرين﴾ على عبادتنا الشاكرين لنعمائنا، وادخلناهم في رحمتنا فنبأنا منهم من نبأنا وأنعمنا عليهم وأكرمناهم بجوارنا إنهم من الصالحين.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ علو مقام الصبر ومثله الشكر فالاول على البأساء والثانى على النعماء.

٢ـ فضيلة الدعاء وهو باب الاستجابة وطريقها من ألهمه ألهم الاستجابة.

٣ـ في سير الصالحين مواعظ وفي قصص الماضيين عبر.

٤ـ من ابتلى بفقد مال أو أهل أو ولد فَصَبَرَ كان له من الله الخلف وما يقال عند المصيبة «إنا لله وإنا إليه لراجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها».

---

(١) هل قول أيّوب: (ربّ إني مسني الضرّ) يتنافى مع الصبر؟ والجواب: هذه المسألة ذكر القرطبي في تفسيره نحواً من ستة عشر قولاً، والصحيح أنّ هذا لاينافي الصبر لأنه دعاء، والدليل هو قوله تعالى: (فاستجبنا له) ولم يكن شكوى لأنّ الاستجابة تأتي بعد الدعاء لا الاشتكاء، قال الجنيد: عرّفه فاقة السؤال ليمنّ عليه بكرم النوال.

(٢) اختلف في مدة مرضه، أصحّ ما قيل فيها أنها ثماني عشرة سنة وهذا مروي عن النبي ﷺ.

(٣) اختلف في ذي الكفل من هو؟ وأرجح الأقوال ما رواه أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إن ذا الكفل لم يكن نبيًا ولكنه كان عبداً صالحاً فتكفل بعمل رجل صالح عند موته وكان يصلي لله كل يوم مائة صلاة فأحسن الله الثناء عليه).

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾

شرح الكلمات :

وذا النون	: هو يونس بن متّى عليه السلام وأُضيف إلى النون الذي هو الحوت في قوله تعالى ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ لأن حوتة كبيرة ابتعلته .
إذ ذهب مغاضباً	: أي لربه تعالى حيث لم يرجع إلى قومه لما بلغه أن الله رفع عنهم العذاب .
فظن أن لن نقدر عليه	: أي أن لن نحبسه ونضيق عليه في بطن الحوت من أجل مغاضبته .
في الظلمات	: ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل .
ونجيناه من الغم	: أي الكرب الذي أصابه وهو في بطن الحوت .
لا تذرني فرداً	: أي بلا ولد يرث عني النبوة والعلم والحكمة بقرينة ويرث

من آل يعقوب.

رغباً ورهباً : أي طمعاً فينا ورهباً منا أي خوفاً ورجاءاً.

أحصنت فرجها : أي صانتـه وحفظته من الفاحشـة.

من روحـنا : أي جبريل حيث نفخ في كم درعها عليها السلام.

آية للعالمين : أي علامة على قدرة الله تعالى ووجوب عبادته بذكره وشكره.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر افضال الله تعالى وانعامه على من يشاء من عباده فقال تعالى: ﴿وذا النون﴾ أي واذكر ذا النون أي يونس بن متَّى ﴿إذ ذهب معاضباً﴾[1] لربه تعالى حيث لم يصبر على بقائه مع قومه يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وطاعته وطاعة رسوله فسأل لهم العذاب، ولما تابوا ورفع عنهم العذاب بتوبتهم وعلم بذلك فلم يرجع إليهم فكان هذا منه مغاضبة لربه تعالى وقوله تعالى عنه: ﴿فظن ان لن نقدر عليه﴾ أي ظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يحبسه في بطن الحوت ولا يضيق عليه وهو حسن ظن منه في ربه سبحانه وتعالى، ولكن لمغاضبته ربه بعدم العودة إلى قومه بعد أن رفع عنهم العذاب أصابه ربّه تطهيراً له من أمر المخالفة الخفيفة بأن ألقاه في ظلمات ثلاث، ظلمة الحوت والبحر والليل ثم ألهمه الدعاء الذي به النجاة فكان يسبح في الظلمات الثلاث ﴿لا إلـه إلا أنت سبحـانك إني كنت من الظالمين﴾[2] فاستجاب الله تعالى له وهو معنى قوله: ﴿وذا الـنـون إذ ذهـب مغـاضـبـاً فظن أن لن نقـدر عليه فنـادى في الـظلـمـات أن لا إلـه إلاّ أنـت سبحـانـك إني[3] كنت من الـظالـمين فاسـتجـبـنـا له ونـجينـاه من الـغـم﴾ الـذي أصابه من وجوده في ظلمات محبوساً لا أنيس ولا طعام ولا شراب مع غم نفسه من جراء عدم عودته الى قومه وقد أنجاهم الله من العذاب. وهو سبب المصيبة، وقوله تعالى:

---

(١) قيل: (مغاضبا لربه) أي: لأجل ربه تعالى حيث عصاه قومه فكان غضبه لله تعالى وهو تأويل حسن إذ يقال: فلان غضب لله. أي: لأجله. وجائز أن يكون مغاضبا لقومه إذ ردوا دعوته ولم يستجيبوا له.

(٢) (من الظالمين) حيث ترك مداومة قومه والصبر عليهم أو في الخروج من غير إذن له فنزّه ربّه عن الظلم ونسبه إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً.

(٣) روى أبو داود أنّ النبي ﷺ قال (دعاء ذي النون في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. لم يدع به رجل مسلم في شيء قط إلاّ استجيب له).

﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾[1] مما قد يحل بهم من البلاء وقوله تعالى: ﴿وزكريا﴾ أي اذكر يا رسولنا زكريا في الوقت الذي نادى ربه داعياً ضارعاً قائلاً: ﴿ربِّ﴾ أي يا رب ﴿لا تذرني فرداً﴾ أي لاتتركني فرداً لاولد لي يرثني في نبوتي وعلمي وحكمتي ويرث ذلك من آل يعقوب حتى لا تنقطع منهم النبوة والصلاح وقوله: ﴿وأنت خير الوارثين﴾ ذكر هذا اللفظ توسلاً به إلى ربه ليستجيب له دعاءه واستجاب له والحمد لله. فوهبه يحيى وأصلح له زوْجه بأن جعلها ولوداً بعد العقر حسنة الخلق والخُلق. وقوله تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون﴾ أي زكريا ويحيى ووالدته كانوا يسارعون في الطاعات والقربات أي في فعلها والمبادرة إليها. وقوله: ﴿ويدعوننا رغباً[2] ورهباً[3]﴾ هذا ثناء عليهم أيضاً إذ كانوا يدعون الله رغبة في رحمته ورهبة وخوفاً من عذابه وقوله: ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ أي مطيعين ذليلين متواضعين وهم يعبدون ربهم بأنواع العبادات.

وقوله تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها[4] فنفخنا فيها من روحنا[5]﴾ أي واذكر يا نبينا تلك المؤمنة التي أحصنت فرجها أي منعته مما حرم الله تعالى عليها وهي مريم بنت عمران اذكرها في عداد من أنعمنا عليهم وأكرمناهم وفضلناهم على كثير من عبادنا الصالحين، حيث نفخنا فيها من روحنا إذ أمرنا جبريل روح القدس ينفخ في كم درعها فسرت النفخة إلى فرجها فحبلت وولدت في ساعة من نهار، وقوله تعالى: ﴿وجعلناها وابنها﴾ أي عيسى كلمة الله وروحه ﴿آية﴾[6] أي علامة كبرى على وجودنا وقدرتنا وعلمنا وحكمتنا وإنعامنا وواجب عبادتنا وتوحيدنا فيها حيث لا يعبد غيرنا ﴿للعالمين﴾ أي للناس أجمعين

---

(١) قرأ ابن عامر: (نجيّ) بنون واحدة وجيم مشدّدة وتسكين الياء على الماضي وإضمار المصدر أي: وكذلك نجيّ النجاء المؤمنين كما يقال: ضرب زيداً بمعنى: ضرب الضرب زيداً.

(٢) قيل: الرغب: الدعاء ببطون الأكف إلى السماء، والرهب: رفع ظهورهما. روى الترمذي عن عمر رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ إذا رفع يديه لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه) وروى الترمذي أيضاً عن أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: (إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورهما وامسحوا بهما وجوهكم). وعن ابن عباس: إن رفع اليدين حذاء الصدر هو الدعاء ورفعهما حتى يجاوز بهما الرأس: فهو الابتهال.

(٣) (رغبا ورهبا) يصح نصبهما على المصدرية وعلى الحال، وعلى المفعول لأجله.

(٤) (أحصنت فرجها): أي: عفّت فامتنعت عن الفاحشة، وقيل: إن المراد من فرجها فرج القميص: أي لم تعلق بثيابها ريبة أي: أنها طاهرة الأثواب وفروج القميص أربعة: الكمان والأعلى والأسفل، قال السهيلي: هذا من لطيف الكناية لأنّ القرآن ألطف إشارة وأنزه عبارة.

(٥) إضافة الروح إلى الله تعالى: إضافة تشريف كبيت الله، وقيل فيه: روح الله لأنه مبعوث من قبله سبحانه وتعالى.

(٦) آية اسم جنس فمريم آية، وعيسى عليه السلام آية.

يستدلون بها على ما ذكرنا آنفاً من وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ووجوب عبادته وتوحيده فيها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ فضيلة دعوة ذي النون: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾. إذ ورد أنه ما دعا بها مؤمن إلا استجيب له، وقوله تعالى: ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ يقوي هذا الخبر.

٢ـ استحباب سؤال الولد لغرض صالح لا من أجل الزينة واللهو به فقط.

٣ـ تقرير أن الزوجة الصالحة من حسنة الدنيا.

٤ـ فضيلة المسارعة في الخيرات والدعاء برغبة ورهبة والخشوع في العبادات وخاصة في الصلاة والدعاء.

٥ـ فضيلة العفة والاحصان للفرج.

٦ـ كون مريم وابنها آية لأن مريم ولدت من غير فحل، ولأن عيسى كان كذلك وكلم الناس في المهد، وكان يحيي الموتى بإذن الله تعالى.

إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾

وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾

شرح الكلمات :

إن هذه أمتكم : أي ملتكم وهي الإسلام ملة واحدة من عهد آدم إلى العهد المحمدي إذ دين الانبياء واحد وهو عبادة الله تعالى وحده بما يشرع لهم .

وأنا ربكم فاعبدون : أنا الهكم الحق حيث خلقتكم ورزقتكم فلا تنبغي العبادة الا لي فاعبدون ولا تعبدوا معي غيري .

وتقطعوا أمرهم بينهم : أي وتفرقوا في دينهم فأصبح لكل فرقة دين كاليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنيات وما أكثرها .

كل إلينا راجعون : أي كل فرقة من تلك الفرق التي قطعت الإسلام راجعة الينا وسوف نجزيها بكسبها .

فلا كفران لسعيه : أي لا نكران ولا جحود لعمله بل سوف يجزى به وافياً .

وإنا له كاتبون : إذ الكرام الكاتبون يكتبون أعمال العباد خيرها وشرها .

وحرام : أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا .

يأجوج وماجوج : قبيلتان موجودتان وراء سدهماالذي سيفتح عند قرب الساعة

حدب : أي مرتفع من الأرض .

ينسلون : أي يسرعون المشي .

الوعد الحق : يوم القيامة .

في غفلة من هذا : أي من يوم القيامة وما فيه من أحداث .

معنى الآيـات :

بعد ذكر أولئك الأنبياء وما أكرمهم الله تعالى به من افضالات وما كانوا عليه من كمالات قال تعالى مخاطباً الناس كلهم : ﴿إن هذه أمتكم﴾[1] أي ملتكم ﴿أمة واحدة﴾ أي ملة واحد من عهد أول الرسل إلى خاتمهم وهو الإسلام القائم على الإخلاص لله في العبادة والخلوص من الشـرك وقوله تعالى : ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾[2] ينعي تعالى على الناس تقـطعيهم الإسـلام إلى ملل شتى كاليهودية والنصرانية وغيرهما، وتمزيقه إلى طوائف ونحل، وقوله : ﴿وكل إلينا راجعون﴾ إخبار منه تعالى أنهم راجعون إليه لا محالة بعد موتهم وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون ومن ذلك تقطيعهم للدين الإسلامي وتمزيقهم له فذهبت كل فرقة بقطعة منه . وقوله تعالى : ﴿فمن يعمل من الصالحات﴾[3] والحال أنه مؤمن، والمراد من الصالحات ما شرعه الله تعالى من عبادات قلبية وقولية وفعلية ﴿فلا كفران لسعيه﴾ أي لعمله فلا يجحد ولا ينكر بل يراه ويجزى به كاملاً . وقوله تعالى : ﴿وإنا له كاتبون﴾ يريد أن الملائكة تكتب أعماله الصالحة بأمرنا ونجزيه بها أيضاً أحسن جزاء وهذا وعد من الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم .

وقوله تعالى : ﴿وحرام[4] على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ يخبر تعالى أنه ممتنع امتناعاً كاملاً أن يهلك أمة بذنوبها في الدنيا ثم يردها إلى الحياة في الدنيا، وهذا بناء على أن ﴿لا﴾ مزيدة لتقوية الكلام ويحتمل الكلام معنى آخر وهي ممتنع على أهل قرية قضى الله تعالى بعذابهم في الدنيا أو في الآخرة أنهم يرجعون إلى الإيمان والطاعة بالتوبة الصادقة وذلك بعد أن كذبوا وعاندوا وظلموا وفسقوا فطبع على قلوبهم فهم لا يرجعون إلى التوبة بحال، ومعنى ثالث وهو حرام على أهل قرية أهلكهم الله بذنوبهم فأبادهم إنهم

---

(١) قرأ الجمهور : (إنّ هذه أمتكم) برفع أمتكم على الخبرية ونصب أمّة واحدة على الحال، والوصف . وقرأ بعضٌ : (امتكم امةُ واحدة) بالرفع فيهما .

(٢) تفرّقوا في الدين واختلفوا فيه .

(٣) (من الصالحات) من للتبعيض إذ من غير الممكن أن يعمل العبد كل الصالحات ويأتي بكل الطاعات، وقوله (وهو مؤمن) وموحد أيضاً فإن الشرك محبط للعمل .

(٤) في حرام قراءات ووجوه منها : (حرام) وهي قراءة الجمهور وحِرم مثل حِل وحلال . وحرم كمرض، وحرُم كشرف، وحرَم : كضرب، وحرّم كبدّل، وحرّم كعلم مشددة اللام وحَرم كفرح وحُرم كقفل تسع قراءات .

لا يرجعون إلى الله تعالى يوم القيامة بل يرجعون للحساب والجزاء فهذه المعاني كلها صحيحة، والمعنى الأخير لا تكلف فيه بكون ﴿لا﴾ صلة بل هي نافية[1] ويرجح المعنى الأخير قوله تعالى: ﴿حتى اذا فتحت يأجوج[2] ومأجوج﴾ فهو بيان لطريق رجوعهم إلى الله تعالى وذلك يوم القيامة وبدايته بظهور علاماته الكبرى ومنها إنكسار سد يأجوج ومأجوج وتدفقهم في الأرض يخربون ويدمرون ﴿وهم من كل حدب[3]﴾ وصوب ﴿ينسلون﴾ مسرعين. وقوله تعالى: ﴿واقترب[4] الوعد الحق﴾ وهو يوم الدين والحساب والجزاء وقوله: ﴿فإذا هي[5] شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ وذلك بعد قيامهم من قبورهم وحشرهم إلى أرض المحشر وهم يقولون في تأسف وتحسر ﴿يا ويلنا﴾ أي يا هلاكنا ﴿قد كنا في غفلة﴾ أي في دار الدنيا ﴿بل كنا ظالمين﴾ فاعترفوا بذنبهم حيث لا ينفعهم الاعتراف إذ لا توبة تقبل يومئذ.

هداية الآيـات

من هـداية الآيات:

١ـ وحدة الدين وكون الإسلام هو دين البشرية كافة لأنه قائم على أساس توحيد الله تعالى في عبادته التي شرعها ليعبد بها.

٢ـ بيان ما حدث للبشرية من تمزيق الدين بينها بحسب الأهواء والأطماع والأغراض.

٣ـ وعد الله لأهل الإيمان والعمل الصالح بالجزاء الحسن وهو الجنة.

---

(١) شاهد أن لا: نافية وليست بصلة، ويكون لفظ الحزام معناه الوجوب قول الخنساء:

وإنّ حراماً لا أرى الدهر باكيا   على شجوه إلا بكيت على صخر

تريد أخاها صخراً.

(٢) في الكلام حذف تقديره: حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج، مثل: واسأل القرية. أي أهل القرية.

(٣) الحدب: ما انقطع من الأرض، والجمع حداب مأخوذ من حدبة الظهر، قال عنترة:

فما رعشت يداي ولا ازدهاني   تواترهم إليّ من الحداب

و (ينسلون) • يخرجون مسرعين، قال امرؤ القيس: فسلي ثيابي من ثيابك تنسل.

وقال النابغة: عسلان الذئب أمسى قارباً   برد الليل عليه فنَسلَ

اي أسرع.

(٤) قيل: الواو زائدة مقحمة، والمعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق. فاقترب: جواب إذا والواو مقحمة، ومثله: وتلّه للجبين، وناديناه أي: للجبين ناديناه، وأجاز بعضهم أن يكون جواب إذا: فإذا هي شاخصة ويكون اقترب الوعد الحق: معطوفاً.

(٥) هي: ضمير الأبصار، والأبصار بعدها: تفسير لها كأنه قال: فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد.

٤ـ تقرير حقيقة وهي إذا قُضِي بهلاك أمة تعذرت عليها التوبة ، وأن أمة يهلكها الله تعالى لا تعود إلى الحياة الدنيا بحال وإن البشرية عائدة إلى ربها فممتنع عدم عودة الناس الى ربهم ، وذلك لحسابهم وجزائهم يوم القيامة .

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

وما تعبدون من دون الله : أي من الأوثان والأصنام .

حصب جهنم : أي ما توقد به جهنم .

لو كان هؤلاء آلهة : أي الأوثان التي يعبدها المشركون من قريش

ما وردوها : أي لحالوا بين عابديهم ودخول النار لأنهم آلهة قادرون على ذلك ولكنهم ليسوا آلهة حق فلذا لا يمنعون عابديهم

من دخول النار.

وكل فيها خالدون : أي العابدون من الناس والمعبودون من الشياطين والأوثان.

لهم فيها زفير : أي لأهل النار فيها أنين وتنفس شديد وهو الزفير.

سبقت لهم منا الحسنى : أي كتب الله تعالى أزلاً أنهم أهل الجنة.

حسيسها : أي حِسّ صوتها.

لا يحزنهم الفزع الأكبر : أي عند النفخة الثانية نفخة البعث فإنهم يقومون من قبورهم آمنين غير خائفين.

كطي السجل للكتب : أي يطوي الجبار سبحانه وتعالىٰ السماء طيّ الورقة لتدخل في الظرف.

كما بدأنا أول خلق نعيده : **أي يعيد الله الخلائق كما بدأهم أول مرة فيبعث الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا، كما ولدوا لم ينقص منهم شيء.**

معنى الآيات :

يقول تعالى للمشركين الذين بدأت السورة الكريمة بالحديث عنهم، وهم مشركوا قريش يقول لهم مُوعداً: ﴿إنكم وما تعبدون[1] من دون الله﴾ من أصنام وأوثان ﴿حصب[2] جهنم﴾ أي ستكونون أنتم وما تعبدون من أصنام وقوداً لجهنم التي أنتم واردوها لا محالة، وقوله تعالى: ﴿لو كان هؤلاء آلهة﴾ لو كان هؤلاء التماثيل من الأحجار التي يعبدها المشركون لو كانوا آلهة حقاً ما ورد النار عابدوها لأنهم يخلصونهم منها ولما ورد النار المشركون ودخلوها دل ذلك على أن آلهتهم كانت آلهة باطلة لا تستحق العبادة بحال. وقوله تعالى: ﴿كل فيها خالدون﴾ أي المعبودات الباطلة وعابدوها الكل في جهنم

---

(١) قوله ﴿ماتعبدون﴾ فيه دليل على وجود العموم في الألفاظ، فإن ابن الزبعرى لمّا نزلت هذه الآية أتت به قريش وقالت له: انظر محمداً شتم آلهتنا. فقال: لو حضرت لرددت عليه، قالوا: وما كنت تقول له؟ قال: كنت أقول له: هذا المسيح تعبده النصارىٰ واليهود تعبد عزيراً، أفهما من حصب جهنم؟. فعجبت من مقالته ورأوا أن محمداً قد خُصم. فأنزل الله تعالىٰ ﴿إن الذين سبقت لهم منّا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون﴾. فدلّ قوله تعالى وما تعبدون على العموم وخصه الله تعالىٰ بهذه الآية ﴿إن الذين سبقت لهم منّا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون﴾.

(٢) قرأ الجمهور حصب بالصاد، وقرأ علي وعائشة رضي الله عنهما بالطاء أي حطب. والحصب أعَمّ، إذ كل ما هُيجت به النار وأوقدت به فهو حصب.

خالدون. وقوله: ﴿لهم فيها زفير[1] وهم فيها لا يسمعون﴾ يخبر تعالى أن للمشركين في النار زفيراً وهو الأنين الشديد من شدة العذاب وأنهم فيها لا يسمعون لكثرة الانين وشدة الأصوات وفظاعة ألوان العذاب وقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون، لا يسمعون حسيسها.وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ نزلت هذه الآية رداً على ابن الزِّبَعْرَى عندما قال إن كان ما يقوله محمد حقاً بأننا وآلهتنا في جهنم فإن الملائكة معنا في جهنم لأننا نعبدهم، وأن عيسى والعزير في جهنم لأن اليهود عبدوا العزيز والنصارى عبدوا المسيح. فأخبر تعالى أن من عبد بغير رضاه بذلك وكان يعبدنا ويتقرب إلينا بالطاعات فهو ممن سبقت لهم منا الحسنى بأنهم من أهل الجنة هؤلاء عنها أي عن جهنم مبعدون ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ أي حس صوتها وهم في الجنة ولهم فيها ما يشتهون خالدون، لا يحزنهم الفزع[2] الأكبر عند قيامهم من قبورهم بل هم آمنون ﴿تتلقاهم الملائكة﴾ عند القيام من قبورهم بالتحية والتهنئة قائلة لهم: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ وقوله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء﴾ أي يتم لهم ذلك يوم يطوي الجبار جل جلاله السماء بيمينه ﴿كطي[3] السجل﴾ أي الصحيفة للكتب. وذلك يوم القيامة حيث تبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات. وقوله تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ أي يعيد الإنسان كما بدأ خلقه فيخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا[4]. وقوله: ﴿وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ أي وعدنا بإعادة الخلق بعد فنائهم وبلاهم وعداً، إنا كنا فاعلين فأنجزنا ما وعدنا، وإنا على ذلك لقادرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

---

(١) الزفير نَفَسٌ يخرج من أقصىٰ الرئتين لضغط الهواء من التأثر بالغم، وهو هنا من أحوال المشركين لا الأصنام.

(٢) لا يُحزنهم بضم الياء من أحزنه، وبفتحها من حزنه قراءتان سبعيتان، والفزع الأكبر: أهوال يوم القيامة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو وقت يؤمر بالعباد إلىٰ النار.

(٣) السجل: الكاتب يكتب الصحيفة ثم يطويها عند انتهاء كتابتها. هذا المعنىٰ أوضح مما في التفسير.

(٤) الغرل: جمع أغرل وهو من لم يختتن فتقطع منه غلفة ذكره، وأول من يكسىٰ إبراهيم كما في صحيح مسلم.

٢ـ من عبد من دون الله بأمره أو برضاه سيكون ومن عَبَده وقوداً لجهنم ومن لم يأمر ولم يرض فلا يدخل النار مع من عبده بل العابد له وحده في النار.

٣ـ بيان عظمة الله وقدرته إذ يطوي السماء بيمينه، والأرض في قبضته يوم القيامة.

٤ـ بعث الناس حفاة عراة غرلا لم ينزع منهم شيء ولا غلفة الذكر إنجاز الله وعده في قوله: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ فسبحان الواحد القهار العزيز الجبار.

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

شرح الكلمات :

ولقد كتبنا في الزبور : أي في الكتب التي أنزلنا كصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن.

من بعد الذكر : أي من بعد أن كتبنا ذلك في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ.

أن الأرض[1] : أي أرض الجنـة.

عبادي الصالحون : هم أهل الإيمان والعمل الصالح من سائر الأمم من أتباع الرسل عامة

إن في هذا لبلاغا : أي إن في القرآن لبلاغاً أي لكفاية وبلغة لدخول الجنة فكل من آمن به وعمل بما فيه دخل الجنة.

لقوم عابـدين : أي مطيعين الله ورسـوله.

رحمـة للعالميـن : أي الإنس والجن فالمؤمنـون المتقـون يدخلون الجنة والكـافـرون ينجون. من عذاب الاستئصال والابادة الذي كان يصيب الامم السابقة.

فهل أنتم مسلمون : أي أسلموا فالاستفهـام للأمر.

وان ادرى : أي ما أدري.

فتنة لكـم : أي اختبار لكـم.

على ما تصفـون : من الكذب من أن النبي ساحر، وأن الله اتخذ ولداً وأن القرآن شعر.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بوعده الكريم الذي كتبه في كتبه المنزلة بعد كتابته في الـذكـر الذي هو كتاب المقادير المسمى باللوح المحفوظ أن أرض الجنة يرثها عباده الصالحون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٥) وقوله تعالى: ﴿إن في هذا لبلاغا لقوم عابـدين[2]﴾ أي في هذا القـرآن العـظيم لبلاغاً لمن كان من العابدين لله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه لكفاية في الوصول به إلى بغيته وهي رضوان الله والجنة وقوله تعالى ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾ يخبر تعالى انه ما ارسل رسوله محمداً ﷺ إلا رحمة للعالمين[3]

(١) في الأرض: الأرض المقدسة، وقال مرة انها أرض الكفار ترثها أمة محمد ﷺ

(٢) العابدون قال أبو هريرة وسفيان الثوري هم أهل الصلوات الخمس.

(٣) قال ابن زيد: المؤمنون خاصة، والعموم أولى وأصح من الخصوص.

إنسهم وجنهم مؤمنهم وكافرهم فالمؤمنون باتباعه يدخلون رحمة الله وهي الجنة والكافرون يأمنـون من عذاب الإبـادة والاستئصال في الدنيا ذلك العذاب الذي كان ينزل بالأمم والشعوب عندما يكذبون رسلهم وقوله تعالى ﴿قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾[1] يأمر تعالى رسوله أن يقول لقومه ولمن يبلغهم خطابه إن الذي يوحى إلى هو أن إلهكم إله واحد أي معبودكم الحق واحد وهو الله تعالى ليس غيره وعليه ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي أسلموا له قلوبكم ووجوهكم فاعبدوه ولا تعبدوا معه سواه فبلغهم يا رسـولنـا هذا ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرضوا عن هذا الطلب ولم يقبلوه ﴿فقل اذنتكم﴾ أي اعلمتكم ﴿على سواء﴾ أنا وأنتم انه لا تلاقي بيننا فأنا حرب عليكم وأنتم حرب عليَّ وقوله تعالى: ﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ أي وقل لهم يا رسولنا: إني ما أدري أقريب ما توعدون من العذاب أم بعيد فالعذاب كائن لا محالة ما لم تسلموا إلا أني لا أعلم وقته. وفي الآية وعيد واضح وتهديد شديد وقوله: ﴿إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمـون﴾ أي يعلم طعنكم العلني في الإسـلام وكتـابه ونبيه، كما يعلم ما تكتمونه في نفوسكم من عداوتي وبغضي وما تخفون من إحَنٍ وفي هذا إنذار لهم وتهديد، وهم مستحقون لذلك.

وقوله: ﴿وإن أدري﴾ أي وما أدري ﴿لعله﴾[2] أي تأخير العذاب عنكم بعد استحقاقكم له بحربِكم للإسلام ونبيه ﴿فتنة لكم﴾ أي اختبار لعلكم تتوبون فيرفع عنكم العذاب أو هو متـاع لكم بالحياة إلى آجـالكم، ثم تعذبون بعد موتكم. فهذا علمه إلى ربي هو يعلمـه، وبهـذا أمرني بأن أقولـه لكم. وقـولـه تعـالى: ﴿قـال رب احكم بالحق﴾ وفي قراءة قُلْ رب احكم بالحق أي قال الرسول بعد أمر الله تعالى بذلك يا رب احكم بينى وبين قومى المكذبين لي المحاربين لدعوتك وعبادك المؤمنين بالحق وذلك بنصري عليهم أو بإنزال نقمتك بهم، وقوله: ﴿وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون﴾[3] أي وربنا الرحمن عز

---

(١) الاستفهام معناه الأمر أي أسلموا. كقوله تعالى ﴿فهل أنتم منتهون﴾ ؟ أي انتهوا.

(٢) لعله أي الإمهال والتأخير.

(٣) تصفون قرأ الجمهور تصفون بالتاء، وقرأ بعض يصفون بالياء.

وجلّ هو الذي يستعان به على إبطال باطلكم أيها المشركون حيث جعلتم لله ولداً، وشركاء، ووصفتم رسوله بالسحر والكذب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- المؤمنون المتقون وهم الصالحون هم ورثة الجنة دار النعيم المقيم.

٢- في القرآن الكريم البُلغة الكافية لمن آمن به وعمل بما فيه بتحقيق ما يصبو إليه من سعادة الدار الآخرة.

٣- بيان فضل النبي ﷺ وكرامته على ربه حيث جعله رحمة للعالمين.

٤- وجوب المفاصلة بين أهل الشرك وأهل التوحيد.

٥- وجوب الاستعانة بالله على كل ما يواجه العبد من صعاب وأتعاب.

سُورَةُ الحَجِّ

مكية ومدنية[1]

وآياتها ثمان وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ

(١) ذكر القرطبي عن الغزنوي أنه قال: سورة الحج من أعاجيب سور القرآن. نزلت ليلاً ونهاراً سفراً وحضراً مكيًا ومدنيًا سلميًا وحربيًا ناسخاً ومنسوخاً محكما ومتشابهاً.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

شرح الكلمات:

اتقوا ربكم : أي عذاب ربكم وذلك بالإيمان والتقوى.

إن زلزلة الساعة : أي زلزلة الأرض عند مجيء الساعة.

تذهل كل مرضعة : أي من شدة الهول والخوف تنسى رضيعها وتغفل عنه.

وتضع كل ذات حمل حملها : أي تسقط الحوامل ما في بطونهن من الخوف والفزع.

سكارى وما هم بسكارى : أي ذاهلون فاقدون رشدهم وصوابهم كالسكارى وما هم بسكارى

يجادل في الله بغير علم : أي يقول إن الملائكة بنات الله وإن الله لا يحيي الموتى.

شيطان مريد : أي متجرد من كل خير لا خير فيه البتة.

كتب عليه أنه من تولاه : فرض فيه أن من تولاه أي اتبعه يضله عن الحق.

معنى الآيات:

بعد ذلك البيان الإلهي في سورة الأنبياء وما عرَض تعالى من أدلة الهداية وما بين من سبل النجاة نادى تعالى بالخطاب العام الذي يشمل العرب والعجم والكافر والمؤمن انذاراً وتحذيراً فقال في فاتحة هذه السورة سورة الحج المكية المدنية لوجود آي كثير فيها نزل في مكة وآخر نزل بالمدينة: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾[1] أي خافوا عذابهُ، وذلك

(١) روى الترمذي وصححه عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم) إلى قوله: (شديد) قال: أنزلت عليه في سفر: فقال: أتدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (ذاك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار قال يا ربِّ وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة. قال: فأنشأ المسلمون يبكون فقال رسول الله ﷺ: قاربوا وسدّدوا فإنه لم تكن نبوّة قط إلاّ كان بين يديها جاهلية قال: فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلاّ أخذ من المنافقين، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبّروا ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبّروا ثمّ قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبّروا. قال: لا أدري قال الثلثين أم لا). الرقمة: الهنة الناتئة في ذراع الدابة والشامة: علامة تخالف البدن الذي هي فيه.

بطاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه فآمنوا به وبرسوله وأطيعوهما في الأمر والنهي وبذلك تقوا أنفسكم من العذاب. وقوله: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ فكيف بالعذاب الذي يقع فيهـا لأهـل الكفر والمعاصي، إن زلزلة لها تتم قبل[1] قيامها تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت أي تنسى فيها الأم ولـدها، ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ فتسقط من شدة الفـزع لتلك الزلزلة المؤذنة بخراب الكون وفناء العوالم ويرى الناس فيها سكارى أي فاقـدين لعقـولهـم ومـا هـم بسكارى بشرب سكر ﴿ولكن عـذاب الله شـديد﴾ فخـافوه لظهـور أماراته ووجـود بـوادره.

هذا ما دلت عليه الآيتـان (١) و (٢) وأما الآية الثالثة فينعى تعالى على النضر بن الحارث وأمثاله ممن يجادلون في الله بغير علم فينسبون لله الولد والبنت ويزعمون أنه ما أرسل محمداً رسولاً، وأنه لا يحيي الموتى بعد فناء الأجسام وتفتتها فقال تعالى: ﴿ومن النـاس من يجـادل في الله بغير علم﴾ بجلال الله وكماله ولشرائعه وأحكامه وسننه في خلقه، ﴿ويتبع﴾ أي في جداله وما يقوله من الكذب والباطل ﴿كل شيطان مريد﴾ أي متجرد من الحق والخير، ﴿كتب[2] عليه﴾ أي على ذلك الشيطان في قضاء الله أن من تولاه بالطاعة والاتباع فإنه يضله عن الحق ويهديه بذلك إلى عذاب السعير في النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوالهما وأهوالهما.

٢ـ حرمة الجدال بالباطل لإدحاض الحق وإبطاله.

٣ـ حرمة الكلام في ذات الله وصفاته بغير علم من وحي إلهي أو كلام نبوي صحيح.

٤ـ موالاة الشياطين واتباعهم يفضِي بالموالي المتابع لهم إلى جهنم وعذاب السعير.

---

(١) الذي عليه أكثر أهل التفسير أنّ هذه الزلزلة تتم بنفخة الفناء بقرينة الحمل والوضع وحديث الترمذي الصحيح دال على أنها بعد البعث، والجمع بينهما: صحيح أولا لامانع من أن يقع هذا وذاك وهو كذلك والقرآن حمّال الوجوه، فهذا الهول العظيم سيقع حتماً في النفخة الأولى، وفي ساحة فصل القضاء، وأمّا موضوع الحمل والوضع فكائن أيضاً في عرصات القيامة إذ الناس يبعثون على ما ماتوا عليه فالحامل تبعث حاملا والمرضع تبعث ترضع أيضاً.

(٢) قال قتادة ومجاهد: من تولى الشيطان فإنه يضله.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي
رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ
مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ
وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ
طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ
بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا
ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴿٥﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ
﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي
ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

في ريب من البعث	: الريب الشك مع اضطراب النفس وحيرتها، والبعث الحياة بعد الموت.
من نطفة	: قطرة المنّي التي يفرزها الزوجان.
علقة	: أي قطعة دم متجمد تتحول إليه النطفة في خلال أربعين يوماً.
مضغة	: أي قطعة لحم قدر ما يمضغ المرء تتحول العلقة اليها بعد أربعين يوما.
وغير مخلقة	: أي مصورة خلقاً تاماً، مخلقة وغير مخلقة هي السقط يسقط

	قبل تمام خلقه.
لنبين لكم	: أي قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم بابتداء خلقكم كيف يكون.
ونقر في الأرحام ما نشاء	: أي ونبقي في الرحم من نريد له الحياة والبقاء إلى نهاية مدة الحمل ثم نخرجه طفلاً سوياً.
لتبلغوا أشدكم	: أي كمال أبدانكم وتمام عقولكم.
إلى ارذل العمر	: أي سن الشيخوخة والهرم فيخرف.
لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً	: أي فيصير كالطفل في معارفه إذ ينسى كل علم علمه.
هامـــدة	: خامدة لاحراك لها ميتة.
اهتزت وربت	: أي تحركت بالنبات وارتفعت تربتها وأنبتت.
زوج بهيج	: أي من كل نوع من أنواع النباتات جميل المنظر حسنه.
ذلك بأن الله هو الحق	: أي الإله الحق الذي لا إله سواه، فعبادة الله حق وعبادة غير الله باطل.
وان الساعة آتية	: أي القيامة.
يبعث من في القبـور	: أي يحييهم ويخرجهم من قبورهم احياء كما كانوا قبل موتهم.

معنى الآيـــات :

لما ذكر تعالى بعض أحوال القيامة وأهوالها، وكان الكفر بالبعث الآخر هو العائق عن الاستجابة للطاعة وفعل الخير نادى تعالى الناس مرة أخرى ليعرض عليهم أدلة البعث العقلية لعلهم يؤمنون فقال: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾ أي في شك وحيرة وقلق نفسي من شأن بعث النـاس أحياء من قبورهم بعـد موتهم وفنائهم لأجل حسـابهم ومجازاتهم على أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا فاليكم ما يزيل شككم ويقطع حيرتكم في هذه القضية العقديـة وهو أن الله تعالى قد خلقكم[1] من تراب أي خلق

(١) هذا دليل قاطع وهو دليل البداءة الأولى فمن قدر على البداءة قادر عقلا على الإعادة وهي أهون عليه.

أصلكم وهو أبوكم آدم من تراب وبلا شك، ثم خلقكم أنتم من[1] نطفة أي ماء الرجل وماء المرأة وبلا شك، ثم من علقة بعد[2] تحول النطفة إليها ثم من مضغة[3] بعد تحول العلقة إليها وهذا بلا شك أيضاً، ثم المضغة إن شاء الله تحويلها إلى طفل خلقها وجعلها طفلاً، وإن لم يشأ ذلك لم يخلقها وأسقطها من[4] الرحم كما هو معروف ومشاهد، وفعل الله ذلك من أجل أن يبين لكم قدرته وعلمه وحسن تدبيره لترهبوه وتعظموه وتحبوه وتطيعوه وقوله: ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا[5]﴾ أي ونقر تلك المضغة المخلقة في الرحم إلى أجل مسمى وهو ميعاد ولادة الولد وانتهاء حمله ونخرجكم طفلاً أي أطفالاً صغاراً لا علم لكم ولا حلم، ثم ننميكم ونربيكم بما تعلمون من سننا في ذلك ﴿ثم لتبغلوا أشدكم﴾ أي تمام نماء أبدانكم وعقولكم ﴿ومنكم من يتوفى﴾ قبل بلوغه أشده لأن الحكمة الإلهية اقتضت وفاته ومنكم من يعيش ولا يموت حتى يرد إلى ارذل العمر فيهرم ويخرف ويصبح كالطفل لا يعلم بعد علمٍ كان له قبل هرمه شيئاً هذا دليل البعث وهو دليل عقلي منطقي وبرهان قوي على حياة الناس بعد موتهم إذ الذي خلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة يوجب العقل قدرته على إحيائهم بعد موتهم، إذ ليست الإعادة بأصعب من البداية. ودليل عقلي آخر هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وترى الأرض﴾ أيها الإنسان ﴿هامدة﴾ خامدة ميتة لاحراك فيها ولا حياة فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء من السماء ﴿اهتزت﴾ أي تحركت ﴿وربت﴾ أي ارتفعت وانتفخت تربتها وأخرجت من النباتات المختلفة الألوان والطعوم والروائح ﴿من كل زوج بهيج﴾ جميل المنظر حسنه، أليس وجود تربة صالحة كوجود رحم صالحة وماء المطر كماء الفحل

---

(١) النطفة: المني، وسمي نطفة لقلّته.

(٢) العلقة: الدم الجامد، والعلق: الدم العبيطُ أي: الطري.

(٣) هذه الأطوار أربعة أشهر، قال ابن عباس: وفي العشر بعد الأربعة أشهر ينفخ فيه الروح، فذلك عدّة الوفاة منها أربعة أشهر وعشر، وفي الصحيح عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: (إنَّ أحدكم لَيُجْمَـع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات.. رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

(٤) روى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: لسقط أقدّمه بين يدي أحبّ إليّ من ألف فارس أخلّفه ورائي).

(٥) أي: فخرج كل واحد منكم طفلا، ويطلق الطفل على الولد من يوم انفصاله إلى البلوغ وولد كل وحشية يقال له طفل ويوصف به مفرداً كالمصدر فيقال: جارية طفل وجاريتان طفل، وجوار طفل، وغلام طفل وغلامان طفل، ويجمع الطفل على أطفال، وأطفلت المرأة: صارت ذات طفل.

وتخلق النطفة في الرحم كتخلق البذرة في التربة وخروج الزرع حياً نامياً كخروج الولد حياً نامياً وهكذا إلى حصاد الزرع وموت الإنسان فهذان دليلان عقليان على صحة البعث الآخر وأنه كائن لا محالة وفوق ذلك كله إخبار الخالق وإعلامه خلقه بأنه سيعيدهم بعد موتهم فهل من العقل والمنطق أو الذوق أن نقول له لا فإنك لا تقدر على ذلك قولة كهذه قذرة عفنة لا يود أن يسمعها عقلاء الناس واشرافهم. ولما ضرب تعالى هذين المثالين أو ساق هذين الدليلين على قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لإعادة الناس أحياء بعد الموت والفناء للحساب والجزاء قال وقوله الحق ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾[1] أي الرب الحق والإله المعبود الحق، وما عداه فباطل ﴿وأنه يحيي[2] الموتى وأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ ومن شك فليراجع الدليلين السابقين في تدبر وتعقل فانه يسلم لله تعالى ما أخبر به عن نفسه في قوله ذلك ﴿بأن الله هو الحق﴾ الخ.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الأعمال يوم القيامة.

٢ـ بيان تطور خلق الإنسان ودلالته على قدرة الله وعلمه وحكمته.

٣ـ الاستدلال على الغائب بالحاضر المحسوس وهذا من شأن العقلاء فإن المعادلات الحسابية والجبرية قائمة على مثل ذلك.

٤ـ تقرير عقيدة التوحيد وهي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

---

(١) لما ذكر تعالى افتقار الموجودات إليه وتسخيرها على وفق اقتداره في قوله (يا أيها الناس) إلى قوله: (بهيج) قال ذلك إشارة إلى ما تقدم من أطوار خلق الإنسان وفنائه وإحياء الأرض بعد موتها وانشقاق النبات منها أي: ذلك حصل بسبب أنّ الله هو الإله الحق دون غيره.

(٢) ومن براهين ألوهيته الحقة دون من سواه أنه يحيى الموتى وأنه على كل ما يريده قدير وأنه موجد الدنيا والآخرة وسيفني هذه في ساعة آتية لا محالة، وسيبعث الناس من القبور للحياة الثانية فيخلدون فيها منهم شقي ومنهم سعيد.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى
ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ
فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

يجادل في الله : أي في شأن الله تعالى فينسب إلى الله تعالى ما هو منه براء كالشريك والولد والعجز عن إحياء الموتى، وهذا المجادل هو أبوجهل.

بغير علم : أي بدون علم من الله ورسوله.

ولا كتاب منير : أي ولا كتاب من كتب الله ذي نور يكشف الحقائق ويقرر الحق ويبطل الباطل.

ثاني عطفه : أي لآوى عنقه تكبراً، لأن العطف الجانب من الإنسان.

له في الدنيا خزي : وقد أذاقه الله تعالى يوم بدر إذ ذبح هناك واحتز رأسه.

بظلام للعبيد : أي بذي ظلم للعبيد فيعذبهم بغير ظلم منهم لأنفسهم.

يعبد الله على حرف : أي على شك في الإسلام هل هو حق أو باطل وذلك لجهلهم به

وأغلب هؤلاء أعراب البادية.

اطمأن به : أي سكنت نفسه إلى الإسلام ورضي به.

وإن أصابته فتنة : أي ابتلاء بنقص مال أو مرض في جسم ونحوه.

إنقلب على وجهه : أي رجع عن الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر الجاهلي.

مالا يضره ولا ينفعه : أي صنماً لا يضره إن لم يعبده، ولا ينفعه إن عَبَدَه.

لبئس المولى : أي قبح هذا الناصر من ناصر.

ولبئس العشير : أي المعاشر وهو الصاحب الملازم.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ هذه شخصية ثانية معطوفة على الأولى التي تضمنها قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾ وهي شخصية النضر بن الحارث أحد رؤساء الفتنة في مكة، وهذه الشخصية هي فرعون هذه الأمة عمرو بن هشام الملقب بأبي جهل يخبر تعالى عنه فيقول: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير[1]﴾ بل يجادل بالجهل وما أقبح جدال الجهل والجهَّال ويجادل في الله عز وجل يا للعجب أفيريد ان يثبت لله تعالى الولد والبنت والعجز والشركاء والشفعاء، ولا علم من وحي عنده، ولا من كتاب إلهي موحى به إلى أحد أنبيائه. وقوله تعالى: ﴿ثاني عطفه﴾ وصف له في حال مشيه وهو يجر رداءه مصعراً خده مائلا إلى أحد جنبيه كبراً وغروراً، وجداله لا لطلب الهدى أو لمجرد حب الإنتصار للنفس بل ليضل غيره عن سبيل الله تعالى الذي هو الإسلام حتى لا يدخلوا فيه فيكملوا ويسعدوا عليه في الحياتين. وقوله تعالى: ﴿له في الدنيا خزى[2]﴾ أي ذل وهوان وقد ناله حيث قتل في بدر شر قتلة فقد احتز رأسه وفُصل عن جثته ونال منه الذين كان يسخر منهم ويعذبهم من ضعفة المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ وقد أذاقه ذلك بمجرد أن قتل فروحه في النار ويوم

---

(١) نير بيّن الحجة قويها، والمراد من الكتاب: كتب الشرائع مثل: التوراة والانجيل من الكتب الأولى والقرآن آخرها نزولا.

(٢) في هذه الآية إخبار بغيب فكان كما أخبر تعالى فإن كُلاً من أبي جهل والنضر بن الحارث قد أذلهما الله وأخذهما ببدر، فأبو جهل قتل وأخذ رأسه، والنضر قتل صبراً، والآية قطعاً نزلت بمكة فهي من معجزات القرآن الكريم.

القيامة يدخلها بجسمه وروحه وقوله تعالى: ﴿وذلك بما قدمت يداك﴾ أي، يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والهوان وعذاب الحريق بما قدمت يداك من الشرك والظلم والمعاصي، ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾، وأنت منهم والله ما ظلمك بل ظلمت نفسك، والله متنزه عن الظلم لكمال قدرته وغناه وقوله تعالى: ﴿ومن الناس[1] من يعبد الله على حرف﴾[2] أي على شك هذه شخصية ثالثة عطفت على سابقتيها وهي شخصية بعض الاعراب كانوا يدخلون في الإسلام لا عن علم واقتناع بل عن شك وطمع وهو معنى على حرف فإن أصابهم خير من مال وصحة وعافية اطمأنوا إلى الإسلام وسكنت نفوسهم واستمروا عليه، وإن أصابتهم فتنة أي اختبار في نفس أو مال أو ولد انقلبوا على وجوههم أي ارتدوا عن الإسلام ورجعوا عنه فخسروا بذلك الدنيا والآخرة فلا الدنيا حصلوا عليها ولا الآخرة فازوا فيها، قال تعالى: ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ أي البين الواضح إذ لو بقوا على الإسلام لفازوا بالآخرة، ولأخلف الله عليهم ما فقدوه من مال أو نفس، وقوله تعالى ﴿يدعو من دون الله﴾ أي ذلك المنقلب على وجهه المرتد يدعوا ﴿مالا يضره﴾ أي صنماً لا يضره لو ترك عبادته﴿وما لا ينفعه﴾إن عبده وقوله تعالى: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أي دعاء وعبادة مالا يضر ولا ينفع ضلال عن الهدى والخير والنجاح والربح وبعيدٌ أيضا قد لا يرجع صاحبه ولا يهتدي. وقوله: ﴿يدعو[3] لمن ضره أقرب من نفعه﴾ أي يدعو ذلك المرتد عن التوحيد إلى الشرك من ضره يوم القيامة أقرب من نفعه فقد يتبرأ منه ويحشر معه في جهنم ليكونا معاً وقوداً لها. قال تعالى: ﴿لبئس المولى ولبئس[4] العشير﴾ المعاشر والصاحب الملازم فذم تعالى وقبح ما كان المشركون يؤملون فيهم ويرجون شفاعتهم[5] يوم القيامة،

---

(١) هذه الآية نزلت بالمدينة النبوية فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء.

(٢) حرف كل شيء: طرفه وجانبه والآية تمثيل لحال المتردد في عمله.

(٣) أي: في الآخرة لأنه بعبادته دخل النار ولم ير منه نفعاً أصلا وإنما قال: (ضرّه أقرب من نفعه) ترفيعاً للكلام نحو: (إنا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين) ومعنى الكلام: القسم والتأخير أي: يدعو والله من ضرّه أقرب من نفعه، والمدعو هو الوثن الذي عبده من دون الله تعالى.

(٤) هذه الجمل تحمل الذم والتقبيح للأصنام التي يدعوها المشركون فإنها شر الموالي وشر العشير، لأن شان الولي جلب النفع لمولاه وشأن العشير جلب الخير لعشيره فإذا كان العكس كانا شر الموالي والعشراء.

(٥) قال تعالى من سورة يونس: (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)، (وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفىٰ) وهذا منهم على فرض إن بعثوا أحياء يوم القيامة أو يرجون شفاعتهم في الدنيا.

تنفيراً لهم من الشرك وعبادة غيره سبحانه وتعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- قبح جدال الجاهل فيما ليس له به علم.

٢- ذم الكبر والخيلاء وسواء من كافر أو من مؤمن.

٣- عدم جدوى عِبَادةٍ صاحبُها شاك في نفعها غير مؤمن بوجوبها ومشروعيتها.

٤- لا يصح دين مع الشك.

٥- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات:

وعملوا الصالحات : أي الفرائض والنوافل وأفعال الخير.

يفعل ما يريد : من إكرام المطيع وإهانة العاصي وغير ذلك من رحمه المؤمن وعذاب الكافر.

أن لن ينصره الله : أي محمداً صلى الله عليه وسلم.

فيلمدد بسبب : أي بحبل.
إلى السماء : أي سقف بينه وليختنق غيظاً
هل يذهبن كيده : أي في عدم نصرة النبي ﷺ الذي يغيظه.
وكذلك أنزلناه : أي ومثل إنزالنا تلك الآيات السابقة أنزلنا القرآن.
هادوا : أي اليهود.
والصابئين : فرقة من النصارى.
والمجوس : عبدة النار والكواكب.
على كل شيء شهيد : أي عالم به حافظ له.

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء الكافرين والمترددين بين الكفر والإيمان أخبر أنه تعالى يدخل الذين آمنوا به وبرسوله ولقاء ربهم ووعده ووعيده وعملوا الصالحات وهي الفرائض التي افترضها الله عليهم والنوافل التي رغبهم فيها يدخلهم جزاء لهم على إيمانهم وصالح أعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار وقوله تعالى: ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾[1] ومن ذلك تعذيبه من كفر به وعصاه ورحمة من آمن به وأطاعه وقوله تعالى: ﴿من[2] كان يظن أن لن ينصره الله﴾ أي من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله ودينه وعباده المؤمنين فلذا هو يتردد ولم يؤمن ولم ينخرط في سلك المسلمين كبني أسد وغطفان فإنا نرشده إلى ما يذهب عنه غيظه حيث يسوءه نصر الله تعالى لرسوله وكتابه ودينه وعباده المؤمنين وهو أن يأتي بحبل وليربطه بخشبة في سقف بيته ويشده على عنقه ثم ليقطع الحبل،[3] وينظر بعد هذه العملية الانتحارية هل[4] كيده هذا يذهب عنه الذي يغيظه؟.

(١) هذه الجملة الكريمة هي تذييل لكلّ ما تقدم لقوله: (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) ومتضمنة تعليلا اجماليا لاختلاف الناس في الخير والشر ولما يلقون من جزاء كذلك.

(٢) الظاهر أن هذا فريق ثالث غير الفريقين المتقدمين وهما: فريق من يجادل في الله بغير علم وفريق من يعبد الله على حرف وهذا الفريق الثالث قد يكون من اليهود والمنافقين وبعض المشركين الذين كانوا يغتاظون لانتصار النبي ﷺ لأنهم لا يودّون ذلك ولا كانوا يرون انتصاره ﷺ كائنا فكلما رأوا نصراً له ازدادغمهم واشتد كربهم لأنّ انتصاره يحزنهم ويخيفهم.

(٣) قرأ الجمهور: (ليقطع) بسكون اللام لوجود ثم العاطفة وقرأ بعضٌ (ليقطع) بكسر اللام لأن ثم ليست كالفاء والواو العاطفتين لأنها مركبة من ثلاثة أحرف.

(٤) (هل يذهبن كيده ما يغيظ) الاستفهام انكاري، وما: مصدرية أي: هل يذهبن كيده غيظه.

وقـولـه تعـالى : ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات﴾ أي ومثل ذلك الإنزال للآيات التي تقدمت في بيان قدرة الله وعلمه في الخلق وإحياء الأرض وإعادة الحياة بعد الفناء أنزلنا القرآن آيات واضحات تحمل الهدى والخير لمن آمن بها وعمل بما فيها من شرائع وأحكام وقوله تعالى : ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ أي هدايته بأن يوفقه للنظر والتفكر فيعرف الحق فيطلبه ويأخذ به عقيدة وقولاً وعملاً .

وقـولـه تعـالى : ﴿إن الـذين آمنـوا﴾[1] وهم المسلمـون ﴿والذين هادوا﴾ وهم اليهود ﴿والصابئين﴾ وهم فرقة من النصارى يقرأون الزبور ويعبدون الكواكب ﴿والنصارى﴾ وهم عبدة الصليب ﴿والمجوس﴾[2] وهم عبدة النار والكواكب ﴿والذين أشركوا﴾ وهم عبدة الأوثان هؤلاء جميعا سيحكم[3] الله بينهم يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل أهل تلك الملل الباطلة النار هذا هو الفصل الحق فالأديان ستة دين واحد للرحمن وخمسة للشيطان فأهل دين الرحمن يدخلهم في رحمته ، وأهل دين الشيطان يدخلهم النار مع الشيطان وقوله : ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ أي عالم بكل شيء لا يخفى عليه شيء وسيجزى كل عامل بما عمل ، ولا يهلك على الله إلا هالك فقد أنزل كتابه وبعث رسوله ورغب ورهب وواعد وأوعد والناس يختارون ما قدر لهم أو عليهم وسبحان الله العظيم .

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ كل الأديان هي من وحي الشيطان وأهلها خاسرون إلا الإسلام فهو دين الله الحق وأهله هم الفائزون ، أهله هم القائمون عليه عقيدة وعبادة وحكماً وقضاء .

٢ـ ان الله ناصر دينه ، ومكرم أهله ، ومن غاظه ذلك ولم يرضه فليختنق .

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٤ـ تقرير ارادة الله ومشيئته فهو تعالى يفعل ما يشاء ويهدي من يريد .

---

(١) هذه الآية نزلت كالفذلكة لما سبق فقررت الصراع الدائر بين الحق والباطل وسمت المتصارعين بألقابهم وأعلمتهم أنّ الحكم فيهم مؤجل إلى يوم القيامة وسيكون عادلاً لعلم الله تعالى بهم وحفظه لأعمالهم .

(٢) لذا فهم يثبتون إلهين إلها للخير وإلها للشر وهم أهل فارس ، وأقدم النحل المجوسية أسسها ملك فارسي قديم في التاريخ يدعى (كيومرث) .

(٣) هذا تفسير لقوله تعالى في الآية : (إن الله يفصل بينهم) إذ الفصل هو الحكم .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾

شـرح الكلمـات :

ألـم تـر : أي ألم تر بقلبك فتعلم.

يســجد له : أي يخضع ويذل له بوضع وجهه على الأرض بين يدي الرب تعالى.

من في الســموات : من الملائـــكة.

والـدواب : من سـائر الحيوانات التي تدب على الأرض.

حق عليه العذاب : وجب عليه العذاب فلا بد هو واقع به.

ومن يهن الله : أي يُشـقه في عذاب مهين.

فماله من مكـرم : أي ليس له من مكرم أي مسعد ليسعده، وقد أشقاه الله.

معنى الآيـة الكريمة :

يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ألم تر﴾[1] أيها الرسول بقلبك فتعلم ﴿أن الله[2] يسجد له من في السمـوات﴾ من المـلائكـة ﴿ومن في الأرض﴾ من الجن والدواب ﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾ وهم المؤمنون المطيعون وكثير أي من الناس حق عليهم العذاب أي وجب لهم العذاب وثبت، فهو لا يسجد سجود عبادة وقربة لنا أما سجود الخضوع فظلالهم تسجد[3] لنا بالصباح والمساء، وقوله تعالى: ﴿ومن يهن الله فماله من مكرم﴾ أي ومن أراد الله إشقاءه وعذابه فما له من مكرم يكرمه بِرَفْع

(١) قال القرطبي: هذه رؤية القلب أي: ألم تر بقلبك، وعقلك.
(٢) قد استعمل السجود في هذه الآية. في حقيقته ومجازه.
(٣) وكذلك خضوعهم لأحكام الله تعالى فيهم ومجاري أقداره عزّ وجلّ عليهم من صحة ومرض وغنىً وفقر وحياة وموت.

العذاب عنه واسعاده في دار السعادة وقوله: ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾[1] فمن شاء أهانه ومن شاء أكرمه فالخلق خلقه وهو المتصرف فيهم مطلق التصرف فمن شاء أعزه، ومن شاء أذله فعلى عباده أن يرجعوا إليه بالتوبة سائلين رحمته مشفقين من عذابه فهذا أنجى لهم من عذابه وأقرب الى رحمته.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١- تقرير ربوبية الله وألوهيته.

٢- سجود المخلوقات بحسب ذواتها، وما أراد الله تعالى منها.

٣- كل شيء خاضع لله إلا الإنسان فاكثر افراده عصاة له متمردون عليه وبذلك استوجبوا العذاب المهين.

٤- التالي لهذه الآية والمستمع لتلاوته يسن لهم أن يسجدوا لله تعالى إذا بلغوا قوله تعالى: ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾.

۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

---

(١) الجملة تعليلية لما سبق من أحكام لله تعالى بالإكرام والإهانة بحسب الطاعة والعصيان.

شـرح الكلمـات :

خصـــمان : خصم مؤمن وخصم كافر كل واحد يريد أن يخصم صاحبه.

اختصموا في ربهم : أي في دينـه.

قطعت لهم ثياب : أي فصلت لهم ثياب على قدر أجسامهم.

يصهر به مافى بطونهم : أي يذاب بالحميم وهو الماء الحار من شحوم وغيرها.

مقامـع من حديـد : جمع مقمعة وهى آلة من حديد كالمجن.

وذوقوا عذاب الحريق: أي يقال لهم توبيخاً وتقريعاً: ذوقوا عذاب النار.

ولـؤلـؤا : أي أسـاور من لؤلـؤ محلاة بالذهب.

إلى الطيب من القول : هو شهادة أن لا إله إلا الله.

إلى صـراط الحميد : أي إلى الإسلام إذ هو طريق الله الموصل الى رضاه وجنته.

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿هذان خصمان﴾[1] الخصم الأول المسلمون والثاني أهل الشرك والكفر ﴿اختصموا في ربهم﴾ أي في دينه تعالى كل خصم يدعي أنه على الدين الحق، وماتوا على ذلك وفصل الله تعالى بينهم يوم القيامة ﴿فالذين كفروا﴾ وهم أهل الدين الباطل ادخلوا النار وفصلت[2] لهم ثياب من نار ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ أي الماء الحار المنتهي في الحرارة، ﴿يصهر[3] به ما في بطونهم والجلود﴾ من لحم وشحم، ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ يضربون بها و﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾ أي من النار بسبب ما ينالهم من غم عظيم ﴿أعيدوا فيها﴾ أي تجبرهم الزبانية على العودة إليها ولم تمكنهم من الخروج

---

(١) روى مسلم عن قيس بن عبادة رضي الله عنه قال: سمعت أبا ذرّ يقسم قسماً: (إن هذان خصمان اختصموا في ربهم) أنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر وهم: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، وعتبة وشيبة ابناء ربيعة والوليد ابن عتبة، وقال عليّ رضي الله عنه إني لأوّل من يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة. يريد قصته في المبارزة هذه، وعموم الآية يشمل الخصومة بين أهل الإسلام وأهل الكتاب، كما يشمل خصومة الجنة والنار لحديث مسلم (احتجت الجنة والنار فقالت هذه يدخلها الجبّارون والمتكبرون، وقالت هذه يدخلها الضعفاء والمساكين فقال الله تعالى لهذه: أنت عذابي أعذّب بك من أشاء وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها).

(٢) قطعت: فصلت أي: تقطّع لهم في الآخرة ثياب من نار، وذكر بلفظ الماضي لأنّ ما كان من أخبار الآخرة فالموعود منه كالواقع المحقق، كما قال تعالى (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس..) أي: يقول الله وجائز أن يكون قد أعدّت لهم تلك الثياب ليلبسوها يوم القيامة وهذا أولى. وتلك الثياب من النحاس المذاب وهي السرابيل المذكورة في سورة ابراهيم من قطران.

(٣) الصُهر: إذابة الشحم والصهارة: ما ذاب منه.

منها، ويقولون لهم: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أي لا تخرجوا منها وذوقوا عذاب الحريق.
فهذا جزاء الخصم الكافر، وأما الخصم المؤمن فهذا جزاؤه وهو في قوله تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا[1]﴾ أي أساور[2] من لؤلؤ محلاة بالذهب ﴿ولباسهم فيها﴾ أي في الجنة ﴿حرير[3]﴾ وقوله تعالى: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ في الدنيا وهو لا إله إلا الله وسائر الأذكار والتسابيح وكل كلام طيب، ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ وهذا الطريق الموصل إلى رضا ربهم وهو الإسلام، وكل ذلك بتوفيق ربهم الذي آمنوا به وبرسوله وأطاعوه بفعل محابه وترك مساخطه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ إثبات حقيقة هي أن المؤمن خصم الكافر والكافر خصم المؤمن في كل زمان ومكان حيث إنّ الآية نزلت في على وحمزة وعبيدة بن الحارث هذا الخصم المؤمن، وعتبة بن ربيعـة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وهذا الخصم الكافر وذلك أنهم تقاتلوا يوم بدر بالمبارزة ونصر الله الخصم المؤمن على الكافر.

٢ـ بيان جزاء كل من الكافرين والمؤمنين في الدار الآخرة.

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوال الآخرة وما للناس فيها.

٤ـ بيان الطيب من القول وهو كلمة التوحيد وذكر الله تعالى.

٥ـ بيان صراط الحميد وهو الإسلام جعلنا الله من أهله.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

---

(١) نصب على تقدير: ويحلّون لؤلؤاً.
(٢) قالت العلماء: ليس أحد من أهل الجنة إلّا وفي يده ثلاثة أسورة. سوار من ذهب، وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة.
(٣) روى أبو داود بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو) وصحّ قوله ﷺ (من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حُرمها في الآخرة).

شـرح الكلـمات :

كـــفروا : جحدوا توحيد الله وكذَّبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم.

ويـصـدون عن سبيل الله: يمنعون الناس من الإسلام، ويصرفونهم عنه.

والمسـجد الحرام : مكـة المكرمة والمسجد الحرام ضمنها.[1]

العاكـــف : المقيم بمكة للتعبد في المسجد الحرام.

والبـــاد : الطاريء عن مكة النازح إليها.

بإلحـاد بظـلـم : أي إلحاداً أي ميلاً عن الحق مُلتبساً بظلم لنفسه أو لغيره.

معنى الآيـة الكريمـة :

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ويصدون[2] عن سبيل الله﴾ هذه الآية الكريمة تحمل تهديداً ووعيداً شديداً لكل من كفر بتوحيد الله وكذب رسوله وما جاء به من الهدى والدين الحق وصدَّ عن سبيل الله أي صرف النـاس عن الدخول في الإسلام، وعن دخـول المسجـد الحرام للطواف بالبيت والإقامة بمكة للتعبد في المسجد الحرام والآية وإن تناولت المشركين الذين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن دخول مكة عام الحديبية فإنها عامـة فى كل من كفـر وصدَّ إلى يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادِ﴾ هو وصف للمسجد الحرام إذ جعله الله تعالى موضع تنسُك لكل من أتاه وأقام به أو يأتيه للعبادة ثم يخرج منه، فالعاكف أي المقيم فيه كالبادي الطاريء القدوم إليه هم سواء في حق الإقامة في مكة[3] والمسجد الحرام للتعبد.

وقوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ أي يرد بمعنى يعتزم الميل عن الحق فيه بظلم يرتكبـه كالشـرك وسائر الذنوب والمعاصي القاصرة على الفاعل أو المتعدية إلى غيره. وقـولـه تعالى: ﴿نذقه[4] من عذاب أليم﴾ هذا جزاء من كفر وصد عن سبيل الله

---

(١) هذا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل وهو شائع لغة شائع تعبيرا.

(٢) أي: وهم يصدّون، وقيل الواو مزيدة أي: إنّ الذين كفروا يصدّون، وهذا ضعيف والصحيح أن خبر إن محذوف تقديره: خسروا وهلكوا ولا يصح أن يكون نذقه لأنه مجزوم.

(٣) كان في الصدر الأول أبواب دور مكة مفتوحة لكل من يريد النزول بها حاجاً أو معتمراً حتى سرق منزل أحدهم فاتخذ له باباً فأنكر عليه عمر ذلك فقال الرجل: إنما اتخذت الباب لأحفظ لهم متاعهم فتركه عمر فاتخذ الناس من يومئذ الأبواب. قال مالك. دور مكة ليست كالمسجد بل لهم أن يمنعوا من النزول بها من شاءوا.

(٤) (نذقه) جواب مَن: الشرطية في قوله: (ومن يرد فيه بإلحاد).

والمسجد الحرام ومن أراد فيه إلحاداً[1] بظلم لنفسه أو لغيره[2].

هداية الآية الكريمة

من هدايـة الآية الكريمة :

١ـ التنديد بالكفر والصدِّ عن سبيل الله والمسجد الحرام والظلم فيه والوعيد الشديد لفاعل ذلك.

٢ـ مكة بلد الله وحرمه من حق كل مسلم أن يقيم بها للتعبد والتنسك ما لم يظلم وينتهك حرمة الحرم بالذنوب والمعاصي، وخاصة الشرك والظلم والضلال.

٣ـ عظيم شأن الحرم حيث يؤاخذ فيه على مجرد العزم على الفعل ولو لم يفعل.

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

---

(١) الباء : في بإلحاد : الاجماع على أنها صلة لتقوية الكلام لشيوع مثلها في كلام العرب والأصل : ومن يرد فيه إلحاداً قال الشاعر:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج   نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج

الفلج : موضع لبني جعدة بن قيس بنجد.

(٢) لا يؤاخذ المؤمن بالنية السيئة في أي بلد كان إلا بمكة المكرمة لهذه الآية.

شرح الكلمات :

وإذ بوأنا لإبراهيم	: أي أذكر يارسولنا إذ بوأنا: أي أنزلنا إبراهيم بمكة مبينين له مكان البيت.
أن لا تشرك بي[1] شيئاً	: أي ووصيناه بأن لا تشرك بي شيئاً من الشرك والشركاء.
وطهر بيتي	: ونظف بيتي من أقذار الشرك وأنجاس المشركين.
وأذن في الناس بالحج	: أعلن في الناس بأعلى صوتك.
رجالاً وعلى كل ضامر:	مشاة وركباناً على ضوامر الإبل.
فج عميق	: طريق واسع بعيد الغور في قارات الأرض.
في أيام معلومات	: هي أيام التشريق.
بهيمة الأنعام	: أي الإبل والبقر والغنم إذ لا يصح الهدى إلا منها.
البائس الفقير	: أي الشديد الفقر.
ليقضوا تفثهم	: أي ليزيلوا أوساخهم المترتبة على مدة الإحرام.
وليوفوا نذورهم	: أي بأن يذبحوا وينحروا ما نذروه لله من هدايا وضحايا.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم[2]﴾ أي اذكر يا رسولنا لقومك المنتسبين إلى إبراهيم باطلاً وزوراً حيث كان موحداً وهم مشركون اذكر لهم كيف بوأه ربُّه مكان البيت لِيَبْنِيه ويرفع بناءه وكيف عهد الله إليه ووصاه بأن يطهره من الأقذار الحسية كالنجاسات من دماء وأوساخ والمعنوية كالشرك والمعاصي وسائر الذنوب وذلك من أجل الطائفين به والقائمين في الصلاة والراكعين والساجدين فيه إذ الرُّكع جمع راكع والسجد جمع ساجد حتى لا يتأذوا بأي أذى معنوي أو حسيّ وهم حول بيت ربهم وفي بلده وحرمه، ليذكر قومك هذا وهم قد نصبوا حول البيت التماثيل والأصنام، ويحاربون كل من يقول لا إله إلا الله وقد صدوك وأصحابك عن المسجد الحرام ومنعوك من الطواف بالبيت العتيق، فأين يذهب

---

(١) (أن): الصحيح أنها تفسيرية والقول أو ما في معناه: مقدر فيها نحو وقلنا أو وصينا أو عهدنا.

(٢) يقال: بوأه كذا وبوأ له كذا فاللام مزيدة لتقوية الكلام كما يقال مكنته من كذا، ومكنت له كذا، ومعنى بوأنا لابراهيم أي: أريناه أصله. وكان قد درس بطول العهد وأنزلناه فيه.

بعقولهم عندما يدعون أنهم على دين إبراهيم وإسماعيل. هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾.

وقوله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾[1] أي وعهدنا إليه آمرين إياه أن يؤذن في الناس بأن ينادي معلنا معلماً: أيها الناس[2] إن ربكم قد بنى لكم بيتاً فحجوه ففعل ذلك فأسمع الله صوته من شاء من عباده ممن كتب لهم أزلا أن يحُجوا وسهل طريقهم وحجوا فعلاً ولله الحمد والمنة.

وقوله تعالى: ﴿يأتوك رجالا﴾ أي عليك النداء وعلينا البلاغ فنادِ ﴿يأتوك رجالاً﴾ أي مشاة ﴿وعلى كل ضامر﴾ من النوق المهازيل ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ أي طريق بعيد في أغوار الأرض وأبعادها كالأندلس غرباً وأندونيسيا شرقاً. وقوله تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ أي يأتوك ليشهدوا منافع لهم دينيَّة كمغفرة ذنوبهم واستجابة دعائهم والفوز برضا ربهم، وتعلم دينهم من علمائهم، ودنيويّة كربح تجارة ببيع وشراء وعرض سلع وأنواع صناعات، وقوله تعالى: ﴿ويذكروا اسم الله﴾ شاكرين لله تعالى إنعامه عليهم وإفضاله وذلك في أيام الحج كلها من العشر الأول من ذي الحجة إلى نهاية أيام التشريق بالصلاة والذكر والدعاء، كما يذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند نحر الإبل وذبح البقر والغنم بأن يقول الناحر أو الذابح بسم الله والله أكبر[3] وقوله تعالى: ﴿فكلوا منها﴾ أي من بهيمة الأنعام التي نحرتموها أو ذبحتموها[4] تقرباً إلينا كهدى التمتع أو التطوع، ﴿واطعموا البائس الفقير﴾ وهو من اشتد به الفقر وقوله تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ بإزالة الشعث والوسخ الذي لازمهم طيلة مدة الإحرام. وقوله: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ أن من كان منهم قد نذر هدياً بذبحه في الحرم فليوف بذلك إذ هذا أوان الوفاء بما نذر أن ينحره أو يذبحه

---

(١) وقرىء: (وآذن) بمعنى: أعلم، (وأذّن): قراءة الجمهور وهي أولى، والأذان: الإعلام.

(٢) روي عن ابن عباس وابن جبير: لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت، وقيل له: أذن في الناس بالحج قال له يا ربّ: وما يبلغ صوتي؟ قال: أذّن وعليّ البلاغ فصعد ابراهيم خليل الله جبل أبي قبيس وصاح يا أيها الناس إنّ الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبيك اللهم لبيك فمن أجاب يومئذ حجّ على قدر الإجابة إن أجاب مرّة فمرة وإن أجاب مرتين فمرتين وجرت التلبية على ذلك.

(٣) السنة في ذبح الأضحية أن تكون بعد صلاة العيد، ومن ذبح قبل ذلك أعاد لقوله ﷺ: (من ذبح قبل الصلاة فتلك شاة لحم) ويستحب في ذبح الأضحية والهدي أن يقول بعد التسمية الواجبة: اللهم منك ولك.

(٤) المشهور وعليه الأكثر أنّ أيام النحر ثلاثة وهي: أيام التشريق الثلاثة بعد يوم العيد.

بالحرم. وقوله: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ أي وليطوفوا طواف الإفاضة وهو ركن الحج ولا يصح الا بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة صباح العيد عيد الأضحى.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ وجوب بناء البيت وإعلائه كلما سقط وتهدم ووجوب تطهيره من كل ما يؤذي الطائفين والعاكفين في المسجد الحرام من الشرك والمعاصي وسائر الذنوب ومن الأقذار كالأبوال والدماء ونحوها.

٢ـ مشروعية فتح مكاتب للدعاية للحج.

٣ـ جواز الاتجار أثناء إقامته في الحج.

٤ـ وجوب شكر الله تعالى وذكره.

٥ـ جواز الأكل من الهدي ومن ذبائح التطوع بل استحبابه.

٦ـ وجوب الحلق أو التقصير بعد رمي جمرة العقبة.

٧ـ وجوب الوفاء بالنذور الشرعية[1] أما النذور للأولياء فهي شرك ولا يجوز الوفاء بها.

٨ـ تقرير طواف الإفاضة[2] وبيان زمنه وهو بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة.

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ

(١) لقوله ﷺ لا وفاء لنذر في معصية الله، وقال ومن نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه.

(٢) أما طواف القدوم فواجب عند مالك وطواف الوداع سنة مؤكدة ويسقط بالعذر عند أكثر أهل العلم، لسقوطه عن الحائض اجماعاً، ومن أهل العلم من يرى طواف القدوم سنة ليس بواجب.

﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾

شرح الكلمات :

ذلـــك : أي الأمر هذا مثل قول المتكلم هذا أي ما ذكرت . . وكذا وكذا . .

حـرمات الله : جمع حرمة ما حرَّم الله إنتهاكه من قول أو فعل .

فهو خير له عند ربه : أي خير في الآخرة لمن يعظم حرمات الله فلا ينتهكها .

إلا ما يتلى عليكم : أي تحريمه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلِ لغير الله به .

فاجتنبوا الرجس : أي اجتنبوا عبادة الأوثان .

واجتنبوا قول الـزور: وهو الكذب وأعظم الكذب ماكان على الله تعالى والشرك وشهادة الزور (١)

حنفـــاء لله : موحدين له مائلين عن كل دين إلى الإسلام .

خـرَّ من السماء : أي سـقـط .

فتخطفـه الطير : أي تأخذه بســرعة .

شـــعائر الله : أعلام دينه وهي هنا البُدْن بأن تختار الحسنة السمينة منها .

فإنها من تقوى القلوب : أي تعظيمها ناشىء من تقوى قـلوبهم .

لكم فيها منافـع : منها ركوبها والحمل عليها بما لا يضرها وشرب لبنها .

إلى أجـل مسمى : أي وقت معين وهو نحرها بالحرم أيام التشريق .

ثم محلها إلى البيت العتيق : أي عند البيت العتيق وهو مكة والحرم .

معنى الآيـات :

ما زال السياق في مناسك الحج قوله تعالى (ذلك) أي الأمر ذاك الذي علمتم من قضاء التفث أي إزالـة شعـر الـرأس وقص الشـارب وقلم الأظافر ولباس الثياب ونحر وذبح الهدايا والضحايا، ﴿ومن يعظم﴾ منكم ﴿حرمات الله﴾ فلا ينتهكها ﴿فهو خير له﴾ أي ذلك التعظيم لها باحترامها وعدم انتهاكها خير له عند ربّه يوم يلقاه وقوله تعالى : ﴿وأحلت لكم

---

(١) وكذلك الكذب على رسول الله ﷺ لقوله : (من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار).

الأنعام﴾ أي الإبل والبقر والغنم أحل الله تعالى لكم أكلها والانتفاع بها وقوله تعالى: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه كما جاء في سورة البقرة والمائدة والأنعام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب﴾ وقوله: ﴿فاجتنبوا الرجس[1] من الأوثان﴾ أي اجتنبوا عبادة الأوثان فإنها رجس فلا تقربوها بالعبادة ولا بغيرها غضبا لله وعدم رضاً بها وبعبادتها، وقوله: ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ وهو الكذب مطلقاً وشهادة الزور وأعظم الكذب ما كان على الله بوصفه بما هو منزه عنه أو بنسبه شيء إليه كالولد والشريك وهو عنه منزه، أو وصفه بالعجز أو بأي نقص وقوله، ﴿حنفاء[2] لله غير مشركين﴾ أي موحدين لله تعالى في ذاته وصفاته وعباداته مائلين عن كل الأديان إلى دينه الإسلام، غير مشركين به أي شيء من الشرك أو الشركاء وقوله تعالى: ﴿ومن يشرك بالله﴾ إلهاً آخر فعبده أو صرف له بعض العبادات التي هي لله تعالى فحاله في خسرانه وهلاكه هلاك من خرَّ من السماء أي سقط منها بعدما رفع إليها فتخطفه الطير أي تأخذه بسرعة وتمزقه أشلاء كما تفعل البازات والعقبان بصغار الطيور، أو تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فلا يعثر عليه أبداً فهو بين أمرين إما اختطاف الطير له أو هوى الريح به فهو خاسر هالك هذا شأن من يشرك بالله تعالى فيعبد معه غيره بعد أن كان في سماء الطهر والصفاء الروحي بسلامة فطرته وطيب نفسه فانتكس في حمأة الشرك والعياذ بالله وقوله تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر[3] الله فإنها من تقوى[4] القلوب﴾ أي الأمر ذلك من تعظيم حرمات الله واجتناب قول الزور والشرك وبيان خسران المشرك ومن يعظم شعائر الله وهي أعلام دينه من سائر المناسك وبخاصة البدن التي تهدى للحرم وتعظيمها باستحسانها واستسمانها ناشيء عن تقوى القلوب فمن عظمها طاعة لله تعالى وتقرباً إليه دل ذلك

---

(١) الرجس: الشيء القذر، والوثن: التمثال من خشب أو حديد وغيرهما ومن: كونها لابتداء الغاية أولى ليعم الأمر اجتناب كل رجس في اعتقاد أو قول أو عمل إذ كل الأنجاس محرَّمة.

(٢) لفظ: حنفاء: من الأضداد يقع على الاستقامة والميل معاً، ومعناها مائلين عن الشرك إلى التوحيد، وعن الأديان إلى الإسلام.

(٣) الشعائر: جمع شعيرة: وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر عباده به وأعلمهم، والشعار: العلامة، ومنه شعار الحرب وإشعار: البدنة لتعلم أنها مهداة للحرم، فشعائر الله: أعلام دينه لاسيما المناسك وما يتعلّق بها.

(٤) أضيفت التقوى إلى القلوب لأنّ حقيقة التقوى في القلب، والتقوى من الخوف والخوف في القلب ويشهد لهذا قوله ﷺ: (التقوى ها هنا) وأشار إلى صدره ثلاث مرات.

على تقوى قلبه لربه تعالى والرسول يشير الى صدره ويقول التقوى ها هنا التقوى ها هنا ثلاث مرات وقوله تعالى: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ أي أذن الله تعالى للمؤمنين أن ينتفعوا بالهدايا وهم سائقوها إلى الحرم بأن يركبوها[1] ويحملوا عليها ما لا يضرها ويشربوا من ألبانها وقوله تعالى: ﴿ثم محلها إلى البيت[2] العتيق﴾ أي محلها عند البيت العتيق وهو الحرم حيث تنحر إن كان مما ينحر أو تذبح إن كان مما يذبح.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب تعظيم حرمات الله لما فيها من الخير العظيم.

٢ـ تقرير حلّيّة بهيمة الأنعام بشرط ذكر اسم الله عند ذبحها أو نحرها.

٣ـ حرمة قول الزور وشهادة الزور وفي الأثر عدلت[3] شهادة الزور الشرك بالله.

٤ـ وجوب ترك عبادة الأوثان ووجوب البعد عنها وترك كل ما يمت إليها بصلة.

٥ـ بيان عقوبة الشرك وخسران المشرك.

٦ـ تعظيم شعائر الله وخاصة البدن من تقوى قلوب أصحابها.

٧ـ جواز الانتفاع بالبدن الهدايا بركوبها وشرب لبنها والحمل عليها إلى غاية نحرها بالحرم.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا

---

(١) في الصحيح أنّ رجلاً يسوق بدنة فقال له النبي ﷺ (اركبها فقال الرجل إنها بدنة قال: اركبها قال: إنها بدنة، وفي الثالثة قال له ﷺ: اركبها ويلك).

(٢) إن كان الهدي في الحج فمحلّه بعد رمي جمرة العقبة ولا ينحر أو يذبح قبله، وإن كان في غير الحج، وإنما هدي مهدى إلى الحرم فمحلّه مكة حيث يطعمه فقراؤها وفقراء الحرم كله.

(٣) وفي الصحيح: (إن أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور. .) الحديث.

رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

منسكاً : أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى، ومكان الذبح يقال له منسك.

فله أسلموا : أي انقادوا ظاهراً وباطناً لأمره ونهيه.

وبشر المخبتين : أي المطيعين المتواضعين الخاشعين.

وجلت قلوبهم : أي خافت من الله تعالى أن تكون قصّرتْ في طاعته.

والبدن : جمع بدنة وهي ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقرباً إلى الله تعالى.

من شعائر الله : أي من أعلام دينه، ومظاهر عبادته.

صواف : جمع صافّة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى.

فإذا وجبت جنوبها : أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها.

القانع والمعتر : القانع[1] السائل والمعتر الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياء وعفة.

---

(١) القانع: من الأضداد يطلق على ذي القناعة وعلى من لا قناعة له فهو يسأل، إلاّ أنّ الفعل الماضي لذي القناعة مكسور العين فعل كعلم، وفعل: من لا قناعة له فهو يسأل فعل: بفتح العين كنصح ينصح.

كذلك سخرناها	: أي مثل هذا التسخير سخرناها لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.
لعلكم تشكرون	: أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته.
لن ينال الله لحومها	: أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم، ولكن تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.
لتكبروا الله على ما هداكم	: أي تقولون الله أكبر بعد الصلوات الخمس أيام التشريق شكراً له على هدايته اياكم.
وبشر المحسنين	: أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على الوجه المشروع.

معنى الآيات:

ما زال السياق في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين فقوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً﴾ أي ولكل أمة من الأمم السابقة من أهل الإيمان والإسلام جعلنا لهم مكان نسك يتعبدوننا فيه ومنسكاً أي[1] ذبح قربان ليتقربوا به إلينا، وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي شرعنا لهم عبادة ذبح القربان لحكمة: وهو أن يذكروا اسمنا على ذبح ما يذبحون ونحر ما ينحرون بأن يقولوا بسم الله والله أكبر. وقوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي فمعبودكم أيها الناس معبود واحد ﴿فله أسلموا﴾ وجوهكم وخصوه بعبادتكم ثم قال لرسوله محمد ﷺ ﴿وبشر المخبتين﴾ برضواننا ودخول دار كرامتنا ووصف المخبتين معرفاً بهم الذين تنالهم البشرى على لسان رسول الله فقال ﴿الذين اذا ذكر الله﴾ لهم أو بينهم ﴿وجلت قلوبهم﴾ أي خافت شعوراً بالتقصير في طاعته وعدم أداء شكره والغفلة عن ذكره ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء فلا يجزعون ولا يتسخطون ولكن يقولون إنا لله وإنا إليه راجعون،

---

(١) يقال: نسك ينسك نُسكاً: إذا ذبح ذبح تقرّب لله تعالى، والذبيحة تسمى نسيكة وجمعها: نسك، ومنها قوله تعالى: (أو صدقة أو نسك) والنسك: الطاعة لله، وهي عبادته، ومن ذلك قولهم: تنسّك فلان: أي تعبد فهو ناسك ومتنسك، والمنسك بفتح السين وكسرها موضع العبادة، ومنه مناسك الحج وهي الأماكن التي تؤدى فيها الشعائر كعرفات ومزدلفة ومنى ومكة.

﴿والمقيمي﴾ الصلاة[1] أي بأدائها في أوقاتها في بيوت الله مع عباده المؤمنين ومع كامل شرائطها وأركانها وسننها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ مما قل أو كثر ينفقون في مرضاة ربهم شكراً لله على ما آتاهم وتسليماً بما شرع لهم وفرض عليهم.

وقوله تعالى: ﴿والبدن[2] جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي الإبل والبقر مما يُهدى إلى الحرم جعلنا ذلكم من شعائر ديننا ومظاهر عبادتنا، ﴿لكم فيها خير﴾ عظيم وأجر كبير عند ربكم يوم تلقوه إذ ما تقرب متقرب يوم عيد الأضحى بأفضل من دم يهرقه في سبيل الله وعليه ﴿فـاذكـروا اسم الله عليهـا﴾ أي قولـوا بسم الله والله أكبـر عند نحرها، وقوله: ﴿صـوآف[3]﴾ أي قائمة على ثلاثة معقولة اليد اليسرى، فإذا نحرتموها ووجبت أي سقطت على جنوبها فوق الأرض ميتة ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع﴾[4] الذي يسألكم ﴿والمعتر﴾ الـذي يتعرض لكم ولا يسألكم حياءاً، وقوله تعالى: ﴿سخرناها لكم﴾ أي مثل ذلك التسخير الذي سخرناها لكم فتركبوا وتحلبوا وتذبحوا وتأكلوا سخرناها لكم من أجل أن تشكرونا بالطاعة والذكر. وقوله تعالى في آخر آية في هذا السياق وهي (٣٧) قوله: ﴿لن ينال[5] الله لحومها ولا دماؤها﴾ أي لن يرفع إليه لحم ولا دم ولن يبلغ الرضا منـه، ولكن التقوى بالإخلاص وفعل الواجب والمندوب وترك الحرام والمكروه هذا الذي يرفع إليه ويبلغ مبلغ الرضا منه.

---

(١) قرأ الجمهور: بكسر التاء من الصلاة على الإضافة، وقرأ أبو عمرو: (الصلاة) بفتحها على توهم النون، وأنّ حذفها كان للتخفيف لطول الاسم. وأنشد سيبويه:

الحافظو عورة العشيرة لا يأتيهم من ورائنا نَطف

النطف: التلطخ بالعيب والاتهام بريبة أو فجور.

(٢) البدن: بضم الباء والدال، والبُدن: بضم الباء وإسكان الدال لغة فصيحة وقرأ الجمهور: (والبدن) بإسكان الدال واحدها بدنة كثمرة وثمر، وخشبة وخشب وسميت بدنة لأنها تبدن، والبدانة: السمن، وتطلق على البقر على الصحيح فمن نذرها أجزأته البقرة، وهي كالبعير تجزىء عن سبعة في هدي التمتع والقران.

(٣) أصل هذا اللفظ مأخوذ من صفن الفرس إذا وقف على ثلاثة أرجل، ورفع الرابعة ومنها: تنحر الإبل بعد أن توقف على ثلاثة وتعقد اليد اليسرى منها، وقرىء (صوافي) و(صوافِ) من الصفاء الذي هو الخلوص لله تعالى أي: خالصة له عز وجل.

(٤) القانع: اسم فاعل من قنع يقنع فهو قانع: إذا سأل وتذلل في السؤال: أما القانع بمعنى: ذي القناعة ففعله قنع بكسر النون قناعة: إذا اكتفى بما عنده ولم يسأل قال مالك: أحسن ما سمعت أنّ القانع: الفقير، والمعتر، الزائر وهو موافق في المعنى لما تقدم، ويؤيد هذا قراءة الحسن: (والمعتري) وهو الذي يتعرض لك ويأتيك بدون علم منك.

(٥) قال ابن عباس رضي الله عنهما: لن يصعد إليه. أي اللحم والدم، ولكن الذي يصل إليه التقوى منكم وما أريد به وجهه.

وقوله تعالى: ﴿كذلك سخرها لكم﴾ أي كذلك التسخير الذي سخرها لكم لعلّة أن تكبروا الله على ما هداكم إليه من الإيمان والإسلام فتكبروا الله عند نحر البدن وذبح الذبائح وعند أداء المناسك وعقب الصلوات الخمس أيام التشريق. وقوله تعالى: ﴿وبشر المحسنين﴾ أمر الله تعالى رسوله والمبلغ عنه محمداً ﷺ أن يبشر باسمه المحسنين الذين أحسنوا الإيمان والإسلام فوحدوا الله وعبدوه بما شرع وعلى نحو ما شرع متبعين في ذلك هدى رسوله وسنة نبيه ﷺ.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ ذبح القربان مشروع في سائر الأديان الإلهية وهو دليل على أنه لا إله إلا الله إذ وحدة التشريع تدل على وحدة المشرع.

وسر مشروعية ذبح القربان هو أن يذكر الله تعالى، ولذا وجب ذكر اسم الله عند ذبح ما يذبح ونحر ما ينحر بلفظ بسم الله والله أكبر.

٢ـ تعريف المخبتين أهل البشارة السارة برضوان الله وجواره الكريم.

٣ـ وجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام.

٤ـ بيان كيفية نحر البدن، وحرمة الأخذ منها قبل موتها وخروج روحها.

٥ـ الندب إلى الأكل من الهدايا ووجوب إطعام الفقراء والمساكين منها.

٦ـ وجوب شكر الله على كل إنعام.

٧ـ مشروعية التكبير عند أداء المناسك كرمي الجمار وذبح ما يذبح وبعد الصلوات الخمس أيام التشريق.

٨ـ فضيلة الإحسان وفوز المحسنين ببشرى على لسان رسول الله ﷺ.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ

لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

يدافع : قُرِىء يدفع أي غوائل المشركين وما يكيدون به المؤمنين.

خوان : كثير الخيانة لأمانته وعهوده.

كفور : أي جحود لربه وكتابه ورسوله ونعمه عليه.

بأنهم ظلموا : أي بسبب ظلم المشركين لهم.

بغير حق : أي استوجب إخراجهم من ديارهم.

إلا أن يقولوا ربنا الله : أي الا قولهم: ربنا الله والله حق، وهل قول الحق يُسَوغ إخراج قائله؟

صوامع وبيع : معابد الرهبان وكنائس النصارى.

وصلوات : معابد اليهود، باللغة العبرية مفردها صلوثا.

ومساجد : أي بيوت الصلاة للمسلمين.

من ينصره : أي ينصر دينه وعباده المؤمنين.

قوي عزيز : قادر على ما يريد عزيز لا يمانع فيما يريد.

إن مكناهم في الأرض: أي نصرناهم على عدوهم ومكنا لهم في البلاد بأن جعلنا السلطة بأيديهم.

ولله عاقبة الأمور : أي آخر أمور الخلق مردها إلى الله تعالى الذي يثيب ويُعاقب.

معنى الآيات :

ما زال السياق في إرشاد المؤمنين وتعليمهم وهدايتهم قوله تعالى : ﴿إن[1] الله يدافع[2] عن الذين آمنوا﴾ أي يدفع عنهم غوائل المشركين ويحميهم من كيدهم ومكرهم. وقوله : ﴿إن الله لا يحب كل خوَّان[3] كفور﴾ تعليل وهم المشركين الذين صدوا رسول الله والمؤمنين عن المسجد الحرام وهم الخائنون لأماناتهم وعهودهم الكافرون بربهم ورسوله وكتابه وبما جاء به، ولما كان لا يحبهم فهو عليهم، وليس لهم. ومقابله أنه يحب كل مؤمن صادق في إيمانه محافظ على أماناته وعهوده مطيع لربه، ومن أحبَّهُ دافع عنه وحماه من أعدائه.

وقوله تعالى : ﴿أُذن للذين يقاتلون﴾ باسم للفاعل أي القادرين على القتال ويقاتلون باسم المفعول وهما قراءتان أي قاتلهم المشركون هؤلاء أذِن[4] الله تعالى لهم في قتال أعدائهم المشركين بعدما كانوا ممنوعين من ذلك لحكمة يعلمها ربهم، وهذه أول آية في القرآن تحمل طابع الحرب بالإذن فيه للمؤمنين، وقوله : ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ طمأنهم على أنه معهم بتأييده ونصره وهو القدير على ذلك وقوله تعالى : ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ أي بدون موجب لإخراجهم اللهم إلا قولهم[5] : ربنا الله وهذا حق وليس بموجب لإخراجهم من ديارهم وطردهم من منازلهم وبلادهم هذه الجملة بيان لمقتضى الإذن لهم بالقتال، ونصرة الله تعالى لهم. وقوله تعالى : ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض[6]﴾ أي يدفع بأهل الحق أهل الباطل لولا هذا لتغلب أهل الباطل﴿ لهدمت

(١) روي أن هذه الآية : (إن الله يدافع . .) نزلت بسبب أن المؤمنين بمكة لما كثر اضطهاد المشركين لهم فكر بعضهم في اغتيال الكفار، والاحتيال عليهم والغدر بهم فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى قوله : (كفور).

(٢) قرأ الجمهور: (يدافع) وقرأ بعضهم : (يدفع).

(٣) الخوّان : كثير الخيانة، وهي الغدر، والغدر من شر الصفات، فقد صحّ (أن الله تعالى ينصب يوم القيامة للغادر لواءً عند استه بقدر غدرته : يقال هذه غدرة فلان بن فلان)!!

(٤) هذه الآية نزلت بالمدينة بعد هجرة الرسول ﷺ والمؤمنين إليها وفيها إذن بقتال المشركين بعد المنع الأوّل فهي أول آية بالإذن بالقتال بعدما كان غير مأذون فيه كما تقدم.

(٥) قوله : (إلاّ أن قالوا ربنا الله . .) الاستثناء منقطع أي : لكن لقولهم ربنا الله أي : وحده لا ربّ لنا سواه استمرّت مدة السلم ثلاث عشرة سنة، وفي السنة الأولى من الهجرة أذن الله تعالى للمؤمنين بقتال المشركين إذ قد أعذر الله تعالى إليهم.

(٦) في الآية دليل على أنّ أمر الجهاد متقدم في الأمم قبل هذه الأمّة وبه صلحت الشرائع وعبد الناس ربّهم، واستقامت أمورهم وصلحت أحوالهم.

صوامع وبيع وصلوات[1] ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ وهذا تعليل أيضاً وبيان لحكمة الأمر بالقتال أي لولا أن الله تعالى يدفع بأهل الإيمان أهل الكفر لتغلب أهل الكفر وهدموا المعابد ولم يسمحوا للمؤمنين أن يعبدوا الله ـ وفي شرح الكلمات بيان للمعابد المذكورة فليرجع اليها.

وقوله تعالى: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي﴾ أي قدير ﴿عزيز﴾ غالب فمن أراد نصرتة نَصَرهُ ولو اجتمع عليه من بأقطار الأرض، والذي يريد الله نصرته هو الذي يقاتل من أجل الله بأن يُعبد في الأرض ولا يُعبد معه سواه فذلك وجه نصر الله فليعلم وقوله ﴿الذين إن مكناهم[2]﴾ أي وطأنا لهم في الأرض وملكناهم بعد قهر أعدائهم المشركين فحكموا وسادوا أقاموا الصلاة على الوجه المطلوب منهم، وآتوا الزكاة المفروضة في أموالهم، وأمروا بالمعروف أي بالإسلام والدخول فيه وإقامته، ونهوا عن المنكر وهو الشرك والكفر ومعاصِي الله ورسوله هؤلاء الأحقون بنصر الله تعالى لهم لأنهم يقاتلون لنصرة الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ يخبر تعالى بأن مرد كل أمر إليه تعالى يحكم فيه بما هو الحق والعدل فيثيب على العمل الصالح ويعاقب على العمل الفاسد، وذلك يوم القيامة، وعليه فليراقب الله وليُتق في السر والعلن وليُتوكل عليه، وليُنب إليه، فإن مرد كل أمر إليه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ وعد الله الصادق بالدفاع عن المؤمنين الصادقين في إيمانهم.

٢ـ كره الله تعالى لأهل الكفر والخيانـة.

٣ـ مشروعية القتال لإعلاء كلمة الله بأن يعبد وحده ولا يضطهد أولياؤه.

٤ـ بيان سر الإذن بالجهاد ونصرة الله لأوليائه الذين يقاتلون من أجله.

---

(١) في الآية دليل على أنه لا يجوز لنا هدم معابد اليهود والنصارى، وانما يمنعون من زيادة البناء حتى لا يكون ذلك إذناً بالبقاء على الكفر وهو حرام.

(٢) هذه عامة في هذه الأمة وليست خاصة بالخلفاء الراشدين الأربعة ولا بالصحابة والتابعين بل هي عامة فيمن مكن الله تعالى لهم في الأرض فسوّدهم وحكّمهم وجب عليهم أن يقوموا بفعل ما ذكر في هذه الآية من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥ـ بيان أسس الدولة التي ورثّ الله أهلها البلاد وملكهم فيها وهي :

إقام الصلاة ـ إيتاء الزكاة ـ الأمر بالمعروف ـ النهي عن المنكر.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

وإن يكذبوك : أي إن يكذبك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح إذاً فلا تأس إذ لست وحدك المكذب.

وأصحاب مدين : هم قوم شعيب عليه السلام.

وكذب موسى : أي كذبه فرعون وآله الأقباط.

فأمليت للكافرين : أي أمهلتهم فلم أُعجل العقوبة لهم.

ثم أخذتهم : أي بالعذاب المستأصل لهم.

فكيف كان نكير : أي كيف كان إنكاري عليهم تكذيبهم وكفرهم أكان واقعاً موقعه؟ نعم إذ الإستفهام للتقرير.

فهي خاوية على عروشها : أي ساقطة على سقوفها.

بئر معطلة : أي متروكة لا يستخرج منها ماء لموت أهلها.

وقصر مشيد : مرتفع مجصص بالجص.

فإنها لا تعمى الأبصار : أي فانها أي القصة لا تعمى الأبصار فإن الخلل ليس في أبصارهم ولكن في قلوبهم حيث أعماها الهوى وأفسدتها الشهوة والتقليد لأهل الجهل والضلال.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد وإن تخللته إرشادات للمؤمنين فإنه لما أُذِن للمؤمنين بقتال المشركين بين مقتضيات هذا الإذن وضمن النصرة لهم وأعلم أن عاقبة الأمور إليه لا إلى غيره وسوف يقضي بالحق والعدل بين عباده يوم يلقونه. قال لرسوله ﷺ مسلياً له عن تكذيب المشركين له: ﴿وإن يكذبوك﴾[1] أيها الرسول فيما جئت به من التوحيد والرسالة والبعث والجزاء يوم القيامة فلا تأس ولا تحزن ﴿فقد كذبت قبلهم﴾ أي قبل مُكذِّبيك من قريش والعرب واليهود ﴿قوم نوح وعاد﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿وقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين، وكُذِّب موسى﴾ أيضاً مع ما آتيناه من الآيات البينات، وكانت سنتي فيهم أني أمليت لهم أي مددت لهم في الزمن وأرخيت لهم الرسن حتى إذا بلغوا غاية الكفر والعناد والظلم والاستبداد وحقت عليهم كلمة العذاب أخذتهم أخذ العزيز المقتدر ﴿فكيف كان نكير﴾[2]، أي انكاري عليهم؟ كان وربّك واقعاً موقعه، وليس المذكورون أخذت فقط.. ﴿فكأين من قرية﴾ عظيمة غانية برجالها ومالها وسلطانها ﴿أهلكناها وهي ظالمة﴾ أي ضالعة في الظلم أي الشرك والتكذيب ﴿فهي خاوية على عروشها﴾[3] أي ساقطة على سقوفها، وكم من بئر ماء[4] عذب كانت سقيا لهم فهي الآن معطلة، وكم من قصر مشيد أي رفيع مشيد بِالجص إذ

---

(١) الآية في تسلية الرسول ﷺ وتعزيته من جرّاء ما يلاقي من قومه من أنواع التكذيب والعناد والجحود.

(٢) أي: تغييري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك. والإنكار والنكير: تغيير المنكر.

(٣) العروش: جمع عرش وهو السقف. والمعنى: إنّ جدرانها فوق سقفها.

(٤) قرأ نافع: (وبير) بدون همزة تخفيفاً.

مات أهله وتركوه [1] هذا ما تضمنته الآيات الأربع (٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥) أما الآية الأخيرة من هذا السياق فالحق عز وجل يقول [2] ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها﴾ حاثاً المكذبين من كفار قريش والعرب على السير في البلاد ليقفوا على آثار الهالكين فلعل ذلك يكسبهم حياة جديدة في تفكيرهم ونظرهم فتكون لهم قلوب حية واعية يعقلون بها خطابنا إليهم ونحن ندعوهم إلى نجاتهم وسعادتهم أو تكون لهم آذان يسمعون بها نداء النصح والخير الذي نوجهه إليهم بواسطة كتابنا ورسولنا، وما لهم من عيون مبصرة بدون قلوب واعية وآذان صاغية فإن ذلك غير نافع ﴿فإنها لا [3] تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في [4] الصدور﴾. وهذا حاصل القول ألا فليسيروا لعلهم يكسبون عبراً وعظات تحيي قلوبهم وسائر حواسهم المتبلدة.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١- تكذيب الرسل والدعاة إلى الحق والخير سنة مطردة في البشر لها عواملها من أبرزها التقليد والمحافظة على المنافع المادية، وظلمات القلب الناشئة عن الشرك والمعاصي.

٢- مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك الأمم والشعوب الظالمة بعد الإمهال لهم والإعذار.

٣- مشروعية طلب العبر وتصيدها من آثار الهالكين.

٤- العبرة بالبصيرة القلبية لا بالبصر فكم من أعمى هو أبصر للحقائق وطرق النجاة من ذي بصر حاد حديد. ومن هنا كان المفروض على العبد أن يحافظ على بصيرته أكثر من المحافظة على عينيه، وذلك بأن يتجنب مدمرات القلوب من الكذب والترهات والخرافات، والكبر والعجب والحب والبغض في غير الله.

---

(١) (وقصر مشيد) أي: مبني بالشيد وهو الجص أي: مثلها معطّل.

(٢) الاستفهام للتعجيب من حالهم وهم في غيهم وجهلهم.

(٣) (فإنها..) أي: الحال أو القصة لا تعمى الأبصار: قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل لما نزلت: (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) سأل ابن أم مكتوم النبي ﷺ قائلا: أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت هذه الآية: (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الآية صريحة في أنّ العقل في القلب، ولا منافاة بين من يرى ذلك في المخ إذ ارتباط كبير بين المخ والقلب في حصول الوعي والإدراك للإنسان.

(٤) ذكر الصدور ظرفاً للقلوب للتأكيد إذا القلوب لا تكون إلاّ في الصدور فهو كقوله تعالى: (ولا طائر يطير بجناحيه..) (وكقولهم رأيت بعيني).

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

شرح الكلمات :

يستعجلونك بالعذاب : أي يطالبونك مستعجلينك بما حذّرتهم منه من عذاب الله .

كألف سنة مما تعدون : أي من أيام الدنيا ذات الأربع والعشرين ساعة .

وكأين من قرية : أي وكثير من القرى أي العواصم والحواضر الجامعة لكل أسباب الحضارة .

أمليت لها : أي أمهلتها فمدّدت أيام حياتها ولم استعجلها بالعذاب .

نذير مبين : منذر أي مخوِّف عاقبة الكفر والظلم بيِّنُ النذارة .

لهم مغفرة ورزق كريم: أي ستر لذنوبهم ورزق حسن في الجنة .

سعوا في آياتنا معاجزين: أي عملوا بجد واجتهاد في شأن إبعاد الناس عن الإيمان بآياتنا وما تحمله من دعوة الى التوحيد وترك الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في إرشاد الرسول ﷺ وتوجيهه في دعوته إلى الصبر والتحمل فيقول له :﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾[1] أي يستعجلك المشركون من قومك بالعذاب الذي خوفتهم به وحذرتهم منه، ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ وقد وعدهم فهو واقع بهم لا بد وقد

---

(١) قيل : نزلت في النضر بن الحارث ورفقائه إذ كانوا يستعجلون العذاب ويطالبون رسول الله ﷺ بإنزاله تحدّياً منهم وعناداً، وفيهم نزل : (سأل سائل بعذاب واقع). (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق . . .) الآية.

تم ذلك في بدر وقوله تعالى: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ فلذا تعالى لا يستعجل وهم يستعجلون فيوم الله بألف سنة، وأيامهم بأربع وعشرين ساعة فإذا حدد تعالى لعذابهم يوماً معناه أن العذاب لا ينزل بهم إلا بعد ألف سنة، ونصف يوم بخمسمائة سنة، وربع يوم بمائتين وخمسين سنة وهكذا فلذا يستعجل الإنسان ويستبطيء، والله عز وجل ينجز وعده في الوقت الذي حدده فلا يستخفه استعجال المجرمين العذاب ويشهد لهذاالمعنى قوله تعالى: ﴿ولو لا أجل مسمى لجاءهم العذاب﴾ من سورة العنكبوت هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤٧) وقوله تعالى: ﴿وكأين من قرية﴾ أي مدينة كبرى ﴿أمليت لها﴾ أي أمهلتها وزدت لها في أيام بقائها والحال أنها ظالمة بالشرك والمعاصي ثم بعد ذلك الإملاء والإمهال أخذتها ﴿وإليّ المصير﴾ أي مصير كل شيء ومرده إلي فلا إله غيري ولا رب سواي فلا معنى لإستعجال هؤلاء المشركين العذاب فإنهم عذبوا في الدنيا أو لم يعذبوا فإن مصيرهم إلى الله تعالى وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون الجزاء العادل في دار الشقاء والعذاب الأبدي وقوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس[1] إنما أنا لكم نذير مبين﴾، فلست بإله ولا رب بيدي عذابكم إن عصيتموني وإنعامكم إن أطعتموني، وإنما أنا عبد مأمور بأن أنذر عصاة الرب بعذابه، وابشر أهل طاعته برحمته، وهو معنى الآية (٥٠)[3] فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازمه أنهم تركوا الشرك والمعاصي لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم عند ربهم وهو الجنة دار النعيم ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين[2]﴾ أي عملوا جادين مسرعين في صرف الناس عن آيات الله حتى لا يؤمنوا بها ويعملوا بما فيها من هدي ونور معاجزين لله يظنون أنهم يعجزونه والله غالب على أمره ناصر دينه وأوليائه، أولئك البعداء في الشر والشرك أصحاب الجحيم الملازمون لها أبد الآبدين.

---

(١) النداء لأهل مكة خاصة وللبشريّة عامة إذ هو ﷺ رسول الله إلى الناس كافة والنذير: المخوف عقوبة الشرك والشر والفساد.

(٢) أي: ظانين أنهم يعجزوننا فلم نقو عليهم ولم نقدر على أخذهم لأنهم مكذّبون بالبعث الآخر وما فيه من حساب وجزاء على الكسب في هذه الدنيا.

(٣) ومما يزيد تفسير هذه الآية وضوحاً قوله ﷺ: (مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعته طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثلي ومثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق).

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ العجلة من طبع الإنسان ولكن استعجال الله ورسوله بالعذاب حمق وطيش وضلال وكفر.

٢ـ ما عند الله في الملكوت الأعلى يختلف تماماً عما في هذا الملكوت السلفي.

٣ـ عاقبة الظلم وخيمة وفي الخبر الظلم يترك الديار بلاقع أي خراباً خالية.

٤ـ بيان مهمة الرسل وهي البلاغ مع الإنذار والتبشير ليس غير.

٥ـ بيان مصير المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

من رسول ولا نبي	: الرسول ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع وأمر بابلاغه. والنبي مقرر لشرع من قبله.
تمنى في أمنيته	: أي قرأ في أمنيتـه، أي في قراءته.
ثم يُحكم الله آياته	: أي بعد إزالة ما ألقاه الشيطان في القراءة بحُكم الله آياته أي يثبتها.
فتنة للذين في قلوبهم مرض	: أي اختباراً للذين في قلوبهم مرض الشرك والشك.
والقاسية قلوبهم	: هـم المشـركون.
فتخبت له قلوبهم	: أي تتطامن وتخشـع له قلوبـهم.
في مرية منـه	: أي في شك منه وريب من القرآن.
عذاب يوم عقيـم	: هو عذاب يوم بدر إذ كان يوماً عقيماً لا خير فيه.
في جنـات النعيم	: أي جنات ذات نعيم لا يبلغ الوصف مداه.
فلهم عذاب مهين	: أي يهان فيه صاحبه فهو عذاب جثماني نفساني.

معنى الآيـات :

بعد التسلية الأولى للنبي ﷺ التي تضمنها قوله تعالى: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح.. الخ﴾ ذكر تعالى تسلية ثانية وهي أنه ﷺ كان يقرأ حول الكعبة في صلاته سورة النجم والمشـركون حول الكعبة يسمعون فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان في مسامع المشركين الكلمات التالية: «تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى» ففرح المشركون بما سمعوا ظناً منهم أن النبي ﷺ قرأها وأن الله أنزلها فلما سجد في آخر السورة سجدوا معه إلا رجلاً[1] كبيراً لم يقدر على السجود فأخذ حثية من تراب وسجد عليها وشاع أن محمداً قد اصطلح مع قومه حتى رجع المهاجرون من الحبشة فكرب لذلك رسول الله وحزن فأنزل الله تعالى هذه

---

(١) هذا الرجل، روى البخاري أنه أمية بن خلف، وقيل هو أبو احيحة سعيد بن العاص وقيل: هو الوليد بن المغيرة. والله أعلم بأيهم كان.

الآية تسلية له فقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾[1] ذي رسالة يبلغها ولا نبيّ مقرر لرسالة نبي قبله ﴿ إلا إذا تمنى﴾ أي قرأ ﴿ألقى للشيطان في أمنيته﴾[2] أي في قراءته ﴿فينسخ الله﴾ أي يزيل ويبطل ﴿ما يلقي الشيطان﴾[3] من كلمات في قلوب الكافرين أوليائه ﴿ثم يُحكم الله آياته﴾ بعد إزالة ما قاله الشيطان فيثبتها فلا تقبل زيادة ولانقصانا، والله عليم بخلقه وأحوالهم وأعمالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك حكيم في تدبيره وشرعه هذه سنته تعالى في رسله وأنبيائه. فلا تأس يا رسول الله ولا تحزن ثم بين تعالى الحكمة في هذه السنة فقال: ﴿ليجعل ما يلقى للشياطن﴾ أي من كلمات في قراءة النبي أو الرسول ﴿فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾ الشك والنفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ وهم المشركون ومعنى فتنة هنا محنة يزدادون بها ضلالاً على ضلالهم وبُعداً عن الحق فوق بعدهم إذ ما يلقى الشيطان في قلوب أوليائه إلا للفتنة أي زيادة في الكفر والضلال. وقوله تعالى: ﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ هو إخبار منه تعالى عن حال المشركين بأنهم في خلاف لله ورسوله، بعيدون فيما يعتقدونه وما يعملونه وما يقولونه، وما يتصورونه مخالف تمام المخالفة لما يأمر تعالى به ويدعوهم إليه من الاعتقاد والقول والعمل والتصور والإدارك. وقوله تعالى: ﴿وليعلم الذين أُوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ هذا جزء العلة التي تضمنتها سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي فالجزء الأول تضمنه قوله تعالى: ﴿ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ وهذا هو الجزء الثاني أي ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ بالله وآياته وتدبيره ﴿ أنه الحق من ربك﴾ أي ذلك الإلقاء والنسخ وإحكام

---

(١) في هذه الآية دليل على أن هناك فرقاً بين النبي والرسول لذكر الرسول في الآية ثم النبي: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) والذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة: أن كل رسول نبي إذ لا يرسل حتى يوحى إليه وينبّأ وليس كل نبي رسولاً إذ ينبئه الله تعالى بما شاء ولا يرسله، وجاء في حديث ابـي ذر (إنّ عدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ وأن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي جمّ غفير).

(٢) قال سليمان بن حرب إنّ (في) هنا هي بمعنى عند أي: ألقى الشيطان عند قراءته ألقى في قلوب المشركين. ولـ(في) بمعنى عند نظير هو قوله تعالى (ولبثت فينا سنين) أي: عندنا.

(٣) ما روي من خبر في قصة الغرانيق كله ضعيف ولم يثبت فيها حديث صحيح قط، والذي ثبت في الصحيح هو قراءة الرسول ﷺ لسورة النجم وسجوده وسجود المشركين معه والذي عصم منه ﷺ وهو المعصوم أن ينطق بكلمة: تلك الغرانيق العلا.. الخ وإنما نطق بها الشيطان وأسمعها المشركين للفتنة كما في التفسير المثبت فيه رأي ابن جرير إمام المفسّرين رحمه الله تعالى.

الآيات بعده ﴿فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾[1] أي تطمئن وتسكن عنده وتخشع فيزدادون هدى. وقوله تعالى: ﴿وإن الله لهاد[2] الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ هذا إخبار منه تعالى عن فعله مع أوليائه المؤمنين به المتقين له وأنه هاديهم في حياتهم وفي كل أحوالهم إلى صراط مستقيم يفضي بهم إلى رضاه وجنته، وذلك بحمايتهم من الشيطان وتوفيقهم وإعانتهم على طاعة الرحمن سبحانه وتعالى. وقوله تعالى: ﴿ولايزال الذين كفروا في مرية منه[3]﴾ أي من القرآن هل هو كلام الله هل هو حق هل اتباعه نافع وتستمر هذه المرية والشك بأولئك القساة القلوب أصحاب الشقاق البعيد ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ أي فجأة وهي القيامة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم[4]﴾ أي لا خير فيه لهم وهو يوم بدر وقد تم لهم ذلك وعندها زالت ريبتهم وعلموا انه الحق حيث لا ينفع العلم.

وقوله تعالى: ﴿الملك[5] يومئذ لله﴾ أي يوم تأتي الساعة يتمحض الملك لله وحده فلا يملك معه أحد فهو الحاكم العدل الحق يحكم بين عباده بما ذكر في الآية وهو أن الذين آمنوا به وبرسوله وبما جاء به وعملوا الصالحات من فرائض ونوافل بعد تخليهم عن الشرك والمعاصي يدخلهم جنات النعيم، والذين كفروا به وبرسوله وبما جاء به، وكذبوا بآيات الله المتضمنة شرائعه وبيان طاعاته فلم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات وعملوا العكس وهو السيئات فأولئك البعداء في الحطة والخسة لهم عذاب مهين يكسر أنوفهم ذلة لهم ومهانة لأنفسهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي للفتنة.

٢ـ بيان أن الفتنة يهلك فيها مرضى القلوب وقساتها، ويخرج منها المؤمنون أكثر يقيناً

---

(١) قوله تعالى: (وليعلم الذين أوتوا العلم) جائز أن يكونوا من المؤمنين ومن أهل الكتاب.

(٢) ومثبتهم على الهداية.

(٣) ومن الدين ومن كل ما جاء به النبي ﷺ.

(٤) وعذاب يوم القيامة عذاب عظيم باعتبار أنه يوم لا ليلة له فهذا وجه العقم لأنّ العقيم هو الذي لا يخلّف ولداً، ولما ذكر عذاب يوم القيامة تعيّن أن يكون هو يوم بدر ومعنى عقمه: أنه لا خير فيه للمشركين ولم يحصلوا منه على فائدة.

(٥) قالوا: الملك هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور، وقيل في الآية إشارة إلى يوم بدر وهو بعيد ولا داعي إليه، ودلالة الآية تنفيه.

وأعظم هدىً.

٣ـ بيان حكم الله تعالى بين عباده يوم القيامة بإكرام أهل الإيمان والتقوى وإهانة أهل الشرك والمعاصي.

٤ـ ظهور مصداق ما أخبر به تعالى عن مجرمي قريش فقد استمروا على ريبهم حتى هلكوا في بدر.

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

والذين هاجروا : أي هجروا ديار الكفر وذهبوا الى دار الإيمان المدينة المنورة.

في سبيل الله : أي هجروا ديارهم لا لدنيا ولكن ليعبدوا الله وينصروا دينه وأولياءه.

ليرزقنهم رزقاً حسناً : أي في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة.

ليدخلنهم مدخلا يرضونه : أي الجنة يوم القيامة.

ذلـــك : أي الأمر ذلك المذكور فاذكروه ولا تنسوه.

ثم بغي عليه : أي ظُلم بعد أن عاقب عدوه بمثل ما ظلم به.

يولج الليل في النهار : أي يدخل جزءاً من الليل في النهار والعكس بحسب فصول السنة كما أنه يومياً يدخل الليل في النهار إذا جاء النهار ويدخل النهار في الليل إذا جاء الليل.

بأن الله هو الحق : أي الإله الحق الذي تجب عبادته دون سواه.

من دونـه : أي من أصـنام وأوثان وغيرها هو الباطل بعينه.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في بيان حكم الله تعالى بين عباده فذكر تعالى ما حكم به لأهل الإيمان والعمل الصالح وما حكم به لأهل الكفر والتكذيب، وذكر هنا ما حكم به لأهل الهجرة والجهاد فقال عز وجل: ﴿والذين هاجروا[1] في سبيل الله﴾ أي خرجوا من ديارهم لأجل طاعة الله ونصرة دينه ﴿ثم قتلوا﴾ من قِبل أعداء الله المشركين ﴿أو ماتوا﴾ حتف أنوفهم بدون قتل ﴿ليرزقنهم الله رزقاً حسناً﴾ في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش ﴿ ليدخلنهم﴾ يوم القيامة ﴿مدخلاً[2] يرضونه﴾ وهو الجنة، وقوله تعالى: ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ أي لخير من يرزق فما رزقهم به هو خير رزق وأطيبـه وأوسعـه. وقوله: ﴿وإن الله لعليم حليم﴾ عليم بعباده وبأعمالهم الظاهرة والباطنة حليم يعفو ويصفح عن بعض زلات عباده المؤمنين فيغفرها ويسترها عليهم إذ لا يخلو العبد من ذنب الا من عصمهم الله من أنبيائه ورسله.

---

(١) قيل: نزلت هذه الآية في عثمان بن مظعون وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهما إذ ماتا بالمدينة مريضين فقال بعض الناس: من مات في سبيل الله أفضل ممن مات حتف أنفه. كأنه يعني عثمان وعبدالله فنزلت هذه الآية مسوّية بين المجاهد والمهاجر، ومن شواهد فضل المهاجر ما روي: أن فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ كان برودس أميراً على الأرباع فجيىء بجنازتي رجلين احدهما قتل والآخر متوفى فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل الى حضرته فقال: أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل فوالذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت اقرأوا قول الله تعالى: (والذين هاجروا..) الآية.

(٢) قرأ نافع: (مدخلا) بفتح الميم على أنه اسم مكان من دخل المجرّد، وقرأ غيره مُدخلا بضم الميم: اسم مكان أيضاً من أدخله يدخله الرباعي مدخلا.

وقوله تعالى: ﴿ذلك ومن عاقب[1]﴾ أي الأمر ذلك الذي بينت لكم، ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ أي ومن أخذ من ظالمه بقدرما أخذ منه قصاصاً، ثم المعاقب ظلم بعد ذلـك من عاقبـه فإن المظلوم أولاً وآخراً تعهد الله تعالى بنصره، وقوله: ﴿إن الله لعفو غفـور﴾ فيه إشارة إلى ترغيب المؤمن في العفو عن أخيه إذا ظلمه فإن العفو خير من المعاقبة وهذا كقوله تعالى[2] ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ وقوله: ﴿ذلك بأن الله يولج الليل والنهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير﴾ أي أن القادر على ادخال الليل في النهار والنهار في الليل بحيث إذ جاء أحدهما غاب الآخر، وإذا قصر أحدهما طال الآخر والسميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم قادر على نصرة من بُغي عليه من أوليائه. وقوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أي المعبود الحق المستحق للعبادة، وإن ما يدعون من دونه من أصنام وأوثان هو الباطل أي ذلك المذكور من قدرة الله وعلمه ونصرة أوليائه كان لأن الله هو الإله الحق وأن ما يعبدون من دونه من آلهة هو الباطل، وأن الله هو العلى على خلقه القاهر لهم المتكبر عليهم الكبير العظيم الذي ليس شيء أعظم منه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان فضل الهجرة في سبيل الله حتى إنها تعدل[3] الجهاد في سبيل الله.

٢ـ جـواز المعاقبة بشرط المماثلة، والعفو أولى من المعاقبة.

٣ـ بيان مظاهر الربوبية من العلم والقدرة الموجبة لعبادة الله تعالى وحده وبطلان عبادة غيره.

٤ـ إثبات صفات الله تعالى: العلم والحلم والمغفرة والسمع والبصر والعفو والعلو على الخلق والعظمة الموجبة لعبادته وترك عبادة من سواه.

---

(١) ذلك: في محل رفع على الخبرية، والمبتدأ مقدّر كما في التفسير. أي: الأمر ذلك الذي قصصنا عليك والآية نزلت في حادثة خاصة قاتل فيها المسلمون في الشهر الحرام فحزنوا لذلك، وكان قتالهم اضطرارياً لأنّ المشركين هم البادئون.

(٢) الآية من سورة الشورى.

(٣) والرباط: كالهجرة، والجهاد، فقد روي عن سلمان الفارسي أنه مرّ برجال مرابطين على حصن ببلاد الروم. وطال حصارهم للحصن، وإقامتهم عليه فقال لهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من مات مرابطاً أجرى الله تعالى عليه مثل ذلك الأجر وأجرى عليه الرزق وأمن من الفتانين) واقرأوا إن شئتم: ﴿والذين هاجروا﴾ الآية.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

ألم تـر : أي ألم تعلـم .

مخضـرة : أي بالعشب والكـلأ والنبات .

الغني الحميـد : الغني عن كل ما سواه المحمود في أرضه وسمائه .

سخر لكم ما في الأرض : أي سهل لكم تملكه والتصرف فيه والانتفاع به .

أحيـاكـم : أي أوجدكم احياء بعدما كنتم عدما .

لكفـور : أي كثير الكفر والجحود لربِّه ونعمه عليه .

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد بذكر مظاهر القدرة والعلم والحكمة قال تعالى : ﴿ألم تر﴾[1] يا رسولنا ﴿أن الله أنزل من السماء ماءًا﴾[2] أي مطراً فتصبح الأرض بعد

(١) (ألم تر) الخطاب صالح لكل متأهل للرؤية من ذوي العقول، والاستفهام للحض على الرؤية فهو كالأمر والفاء للتفريع إذ يتفرّع عن نزول المطر: صيرورة الأرض مخضرّة بالنبات .

(٢) هذا انتقال إلى التذكير بمظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده وشكره بطاعته وطاعة رسوله ﷺ بعد الإيمان به حق الإيمان وتصديقه بكل ما جاء به ويدعو إليه .

نزول المطر عليها مخضرة بالعشب والنباتات والزروع، وقوله: ﴿إن الله لطيف[1]﴾ بعباده ﴿خبير﴾ بما يصلحهم ويضرهم وينفعهم.

وقوله: ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وتصرفاً، ﴿وإن الله لهو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ أي المحمود في الأرض والسماء بجميل صنعه وعظيم إنعامه وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله سخر لكم[2] ما في الأرض﴾ من الدواب والبهائم على اختلافها ﴿والفلك﴾ أي وسخر لكم الفلك أي السفن ﴿تجري في البحر بأمره﴾ أي بإذنه وتسخيره، ﴿ويمسك السماء[3] أن تقع على الأرض﴾ أي كيلا تقع على الأرض ﴿إلا بإذنه﴾ أي لا تقع إلا إذا أذن لها في ذلك وقوله: ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ من مظاهر رأفته ورحمته بهم تلك الرحمة المتجلية في كل جانب من جوانب حياتهم في حملهم في ارضاعهم في غذائهم في نومهم في يقظتهم في تحصيل أرزاقهم في عفوه عن زلاتهم في عدم تعجيل العقوبة لهم بعد استحقاقهم لها في إرسال الرسل في إنزال الكتب فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقوله تعالى: ﴿وهو الذي أحياكم﴾ بالإنشاء والإيجاد من العدم، ثم يميتكم عند انتهاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ ويبعثكم ليجزيكم بكسبكم كل هذه النعم يكفرها الإنسان فيترك ذكر ربه وشكره ويذكر غيره ويشكر سواه، فهذه المظاهر لقدرة الرب وعلمه وحكمته وتلك الآلاء والنعم الظاهرة والباطنة توجب الإيمان بالله وتحتم عبادته وتوحيده وذكره وشكره، وتجعل عبادة غيره سُخفاً وضلالاً عقلياً لا يُقادر قدره ولا يُعرف مداه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد بذكر مقتضياته من القدرة والنعمة.

٢- إثبات صفات الله تعالى: اللطيف الخبير الغني الحميد الرؤوف الرحيم المحيي المميت.

---

(١) لطيف في تدبيره للخلقة خبير في صنعه.. وهاتان الصفتان متجليتان في تدبيره تعالى للكون وصنعه فيه.

(٢) التسخير: معناه: التذليل للشيء حتى يصبح طوع المسخَّر له وهو هنا بمعناه، ويعني: تسهيل الانتفاع فيما هو خارج عن قدرة الإنسان بإرسال الرياح ونزول الأمطار.

(٣) وجائز أن يراد بالسماء: ماؤها أي: المطر كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

٣ـ بيان إنعام الله وإفضاله على خلقه.

٤ـ مظاهر قدرة الله تعالى في إمساك السماء أن تقع على الأرض، وفي الإحياء والأماتة والبعث.

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات:

جعلنا منسكاً : أي مكاناً يتعبدون فيه بالذبائح أو غيرها.

فلا ينازعنك : أي لا ينبغي أن ينازعوك.

هدىً مستقيم : أي دين مستقيم هو الإسلام دين الله الحق.

في كتاب : هو اللوح المحفوظ.

ما لم ينزل به سلطاناً : أي حجة وبرهاناً.

الحـج

المنكــر	: أي الإنكار الدال عليه عبوس الوجه وتقطيبه .
يسـطون	: يبطشـون .
بشـر من ذلكم	: هـو النـار .

معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم في بيان هداية الله تعالى لرسوله والمؤمنين ودعوة المشركين الى ذلك قال تعالى : ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً﴾[1] أي ولكل أمة من الأمم التي مضت والحاضرة أيضاً جعلنا لهم منسكاً أي مكاناً يتنسكون فيه ويتعبدون ﴿هم ناسكوه﴾[2] أي الآن، فلا تلتفت إلى ما يقـولـه هؤلاء المشـركون، ولا تقبل منهم منازعة في أمر واضح لا يقبل الجدل، وذلك أن المشركين انتقدوا ذبائح الهدى والضحايا أيام التشريق، واعترضوا على تحريم الميتة وقالوا كيف تأكلون ما تذبحون ولا تأكلون ما ذبح الله بيمينه وقوله تعالى لرسـوله : ﴿وادع إلى ربك﴾ أي أعرض عن هذا الجدل الفارغ وادع إلى توحيد ربك وعبادته ﴿إنك لعلى هدى مستقيم﴾ أي طريق قاصد هاد إلى الإسعاد والاكمال وهو الإسـلام وقـولـه : ﴿وإن جادلـوك﴾[3] في بيان بعض المنـاسـك والنسك فاتركهم فإنهم جهلة لايعلمون وقل : ﴿الله أعلم بما تعملون﴾ أي وسيجزيكم بذلك حسنة وسيئة ﴿والله يحكم بينكم﴾ أي يقضي بينكم أيهـا المشـركـون فيما كنتم فيه تختلفون وعندها تعرفون المحق من المبطل منا وذلك يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾[4] بلى إن الله يعلم كل ما في السموات والأرض من جليل ودقيق وجليّ وخفي وكيف لا وهو اللطيف الخبير. ﴿إن ذلـك في كتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ فكيف يجهل أو ينسى ، و﴿ إن ذلك﴾ أي كتبه

---

(١) سبق مثل هذا النزاع بين المؤمنين والمشركين في التذكية عند قول الله تعالى من سورة الأنعام : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وقوله تعالى : (فلا ينازعنك) معناه : أترك منازعتهم وأعرض عنهم ولا تلتفت إليهم .

(٢) سبق مثل هذه الآية في أوّل السورة وهو دال على أنّه لا إله إلا الله إذ وحدة التشريع تدل على وحدة المشرع عقلا ولا تنتقض .

(٣) في الآية الكريمة أسلوب المتاركة إذا لم تنفع المجادلة لعدم استعداد الخصم لقبول الحق أو تعذر معرفته له .

(٤) الاستفهام تقريري بالنسبة للرسول ﷺ والجملة تحمل التسلية له ﷺ والتخفيف مما يلاقي من جدال المشركين وعنادهم .

وحفظه في كتاب المقادير ﴿على الله يسير﴾[1] أي هين سهل، لأنه تعالى على كل شيء قدير. هذا ما دلت عليه الآيات الأربع (٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠) وقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أي ويعبد أولئك المشركون المجادلون في بعض المناسك أصناماً لم ينزل الله تعالى في جواز عبادتها حُجَّة ولا برهاناً بل ماهوإلا إفك افتروه، ليس لهم به علم ولا لآبائهم، وسوف يحاسبون على هذا الإفك ويجزون به في ساعة لا يجدون فيها ولياً ولا نصيراً إذ هم ظالمون بشركهم بالله آلهة مفتراة ويوم القيامة ما للظالمين من نصير. هذا ما دلت عليه الآية (٧١) وأما قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ يخبر تعالى عن أولئك المشركين المجادلين بالباطل أنهم إذا قرأ عليهم أحد المؤمنين آيات الله وهى بينات في مدلوها تهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴿تعرف﴾ يارسولنا ﴿في وجوه الذين كفروا المنكر﴾[2] أي تتغيّر وجوههم ويظهر عليها الإنكار على التالي عليهم الآيات ﴿يكـادون يسـطون﴾[3] أي يبطشون ويقعون بمن يتلون عليهم آيات الله لهدايتهم وصلاحهم.

وقوله تعالى: ﴿قل أفأنبئكم[4] بشرٍ من ذلكم﴾ أي قل لهم يا رسولنا أفأنبكم بشر من ذلك الذي تكرهون وهو من يتلون عليكم آيات الله أنه النار التى وعدها الله الذين كفروا أي من أمثالكم، وبئس المصير تصيرون إليه النار إن لم تتوبوا من شرككم وكفركم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١- تقرير حقيقة وهي أن كل أمة من الأمم بعث الله فيها رسولاً وشرع لها عبادات تعبده بها.

٢- استحسان ترك الجدال في البدهيات والإعراض عن ما فيها.

٣- تقرير علم الله تعالى بكل خفي وجلي وصغير وكبير في السموات والأرض.

---

(١) أي: الفصل بين المختلفين ككتابة كل كائن في كتاب المقادير كل ذلك على الله يسير إذ هو تعالى لا يعجزه شيء، ويقول للشيء كن فيكون.

(٢) أي: الغضب والعبوس.

(٣) السطو: شدّة البطش يقال: سطا به يسطو: إذا بطش وسواء كان ذلك بسب وشتم أو ضرب، وسطا عليه: إذا علاه ضرباً وشتماً.

(٤) (أفأنبّكم) الهمزة داخلة على محذوف أي: أتكرهون سماع القرآن ومن يقراه فأنا أنبّئكم بشر من ذلك الذي تأذيتم به وكرهتموه؟ وقوله: ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنهم قالوا: نبّئنا فقال: النار. الخ.

٤ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر بتقرير الكتاب الحاوي لذلك وهو اللوح المحفوظ.
٥ـ بيان شدة بغض المشركين للموحدين إذا دعوهم إلى التوحيد وذكروهم بالآيات.
٦ـ مشروعية إغاظة الظالم بما يغيظه من القول الحق.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦)

شرح الكلمات :

ضرب مثل : أي جعل مثل هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿إن الذين تدعون . . . الخ.

لن يخلقوا ذباباً : أي لن يستطيعوا خلق ذبابة وهي أحقر الحيوانات تتخلق من العفونات.

ولو اجتمعوا : أي على خلقه فإنهم لا يقدرون، فكيف إذا لم يجتمعوا فهم أعجز.

لا يستنقذوه منه : أي لا يستردوه منه وذلك لعجزهم

ضعف الطالب والمطلوب : أي العابد والمعبود.

ما قدروا الله حق قدره : أي ما عظم المشركون الله تعالى حق قدره أي عظمته.

يصطفي من الملائكة رسلاً : أي يجتبي ويختار كجبريل.

ومن الناس : كمحمد صلى الله عليه وسلم.

معنى الأيـات :

ما زال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين يقول تعالى : ﴿يا أيها الناس ضربَ[1] مثل فاستمعوا له﴾ أي يا أيها المشركون بالله آلهة أصناماً ضرب لآلهتكم في حقارتها وضعفها وقلة نفعها مثل رائع فاستمعوا له . وبينه بقوله : ﴿إن الذين تدعـون من دون الله﴾ من أوثان وأصنام ﴿لن يخلقوا ذباباً[2]﴾ وهو أحقر حيوان وأخبثه أي اجتمعوا واتحدوا متعاونين على خلقه ، أو لم يجتمعوا له فإنهم لا يقدرون على خلقه وشيء آخر وهو إن يسلب الذباب الحقير شيئاً من طيب آلهتكم التى تضمّخونها به ، لا تستطيع آلهتكم أن تسترده منه فما أضعفها إذاً وما أحقرها إذا كان الذباب أقدر منها وأعز وأمنع .

وقـولـه تعـالى : ﴿ضعف الطالب والمطلوب[3]﴾ أي ضعف الصنم والذباب معاً كما ضعف العابد المشرك والمعبود الصنم ﴿إن الله لقويّ عزيز﴾ أي قوي قادر على كل شيء عزيز غالب لا يمانع في أمر يريده فكيف ساغ للمشركين أن يؤلهوا غيره ويعبدونه معه ويجعلونـه له مثلاً . هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٧٣) والثانية (٧٤) وقوله تعالى : ﴿ الله يصْـطفي[4] من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ هذا رد على المشركين عندما قالوا : ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾ وقالوا : ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ فأخبر تعالى أنه يصطفي أي يختار من الملائكة رسلاً كما اختار جبرائيل وميكائيل ، ومن الناس كما اختار نوحاً وإبـراهيم ومـوسى وعيسى ومحمدا ﷺ ، ﴿إن الله سميع[5]﴾ لأقوال عباده طيبها وخبيثها ﴿بصير﴾ بأعمالهم صالحها وفاسدها وعلمه بخلقه وبصره بأحوالهم وحاجاتهم اقتضى أن

---

(١) ضرب المثل : هو ذكره وبيانه ، واستعير الضرب للقول والذكر تشبيها بوضع الشيء بشدّة ، وهو تعبير شائع في اللغة العـربية ، والمثل هنا تشبيه تمثيلي ، إذهو تشبيه أصنامهم في عجزها وحقارتها بالذباب في عجزه وحقارتهوضمنه الإنكار الشديد عليهم في تشبيه أصنامهم بالله عز وجل إذ عبدوها بعبادته وألّهوها تأليهه عز وجل .

(٢) الذباب : اسم واحد للذكر والأنثى والجمع والقليل : أذبة والأكثر ذبان والواحدة ذبابة ، ولا يقال ذبّانة بالتشديد وكسر الذال ، والمِذَبة : آلة لذب الذّبان وذباب السيف : طرفه الذي يضرب به .

(٣) قيل : الطالب : الألهة ، والمطلوب : الذباب ، والعكس صحيح ، وجائز أن يكون الطالب : عابد الصنم ، والمطلوب : الصنم .

(٤) الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائيا ، والإخبار بجملة يصطفي بدل : نصطفي لإفادة الاختصاص أي : هنا الاصطفاء خاص به تعالى لعظيم علمه وحكمته .

(٥) الجملة تعليلية ، وجملة : يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، مقرّرة لها وتفيد الدعوة إلى مراقبة الله عز وجل .

يصطفي منهم رسلاً وقوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي ما بين أيدي رسله من الملائكة ومن الناس وما خلفهم ماضياً ومستقبلاً إذ علمه أحاط بكل شيء فلذا حق له أن يختار لرسالاته من يشاء فكيف يصح الإعتراض عليه لولا سفه المشركين وجهالاتهم وقوله تعالى: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ هذا تقرير لما تضمنته الجملة السابقة من أن لله الحق المطلق في إرسال الرسل من الملائكة أو من الناس ولا إعتراض عليه في ذلك إذ مرد الأمور كلها إليه بدءاً ونهاية إذ هو ربّ كل شيء ومليكه لا إله غيره ولا رب سواه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

٢- التنديد بالشرك وبطلانه وبيان سفه المشركين.

٣- ماقدر الله حق قدره من سوى به أحقر مخلوقاته وجعل له من عباده جزءاً وشبهاً ومثلاً.

٤- إثبات الرسالات[1] للملائكة وللناس معاً.

٥- ذكر صفات الجلال والكمال لله تعالى المقتضية لربوبيته والموجبة لألوهيته وهي القوة والعزة، والسمع والبصر لكل شيء وبكل شيء والعلم بكل شيء.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ

(١) في العبارة بعض الخفاء، والمقصود هو أنّ الله يصطفي من الملائكة مثل جبريل وميكائيل فيرسلهم إلى من يصطفي من الناس وهم الأنبياء، وفي الآية رد على المعترضين على الوحي الإلهي لرسوله محمد ﷺ.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝٧٨﴾

شرح الكلمات :

واعبدوا ربكم : أي أطيعوه في أمره ونهيه في تعظيم هو غاية التعظيم وذل له هو غاية الذل.

وافعلوا الخير : أي من كل ما انتدبكم الله لفعله ورغبكم فيه من صالح الأقوال والأعمال.

لعلكم تفلحون : أي كي تفوزوا بالنجاة من النار ودخول الجنة.

حق جهاده : أي الجهاد الحق الذي شرعه الله تعالى وأمر به وهو جهاد الكفار والشيطان والنفس والهوى.

اجتباكم : أي اختاركم لحمل دعوة الله إلى الناس كافة.

من حرج : أي من ضيق وتكليف لا يطاق.

ملة أبيكم : أي الزموا ملة أبيكم إبراهيم وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

وفي هذا : أي القرآن.

اعتصموا بالله : أي تمسكوا بدينه وثقوا في نصرته وحسن مثوبته.

ونعم النصير : أي هو تعالى نعم النصير أي الناصر لكم.

معنى الآيات :

بعد تقرير العقيدة بأقسامها الثلاثة: التوحيد والنبوة والبعث والجزاء، نادى الربّ تبارك وتعالى المسلمين بعنوان الإيمان فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً، ﴿اركعوا واسجدوا﴾[1] أمرهم بإقام الصلاة ﴿واعبدوا ربكم﴾ أي أطيعوه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه معظمين له غاية التعظيم خاشعين له غاية الخشوع ﴿وافعلوا الخير﴾ من كل ما انتدبكم الله إليه ورغبكم فيه من أنواع البر وضروب العبادات ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي لتتأهلوا بذلك للفلاح الذي هو الفوز بالجنة بعد النجاة من النار.

---

(١) خصّ الركوع والسجود من بين أركان الصلاة لأنهما أشرف أجزائها وأدل على خضوع العبد لربّه وذلته له.

وقوله: ﴿وجاهدوا في الله[1] حق جهاده[2]﴾ أي أمرهم ايضاً بأمر هام وهو جهاد الكفار حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ومعنى حق جهاده أي كما ينبغي الجهاد من استفراغ الجهد والطاقة كلها نفساً ومالاً ودعوة وقوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ هذه مِنّة ذكّر بها تعالى المؤمنين حتى يشكروا الله بفعل ما أمرهم به أي لم يضيق عليكم فيما أمركم به بل وسع فجعل التوبة لكل ذنب، وجعل الكفارة لبعض الذنوب، ورخص للمسافر والمريض في قصر الصلاة والصيام، ولمن لم يجد الماء أو عجز عن استعماله في التيمُّم.

وقوله: ﴿ملة أبيكم ابراهيم[3]﴾ أي الزموا ملة أبيكم وقوله: ﴿هو سماكم المسلمين﴾ أي الله جل جلاله هو الذي سماهم المسلمين في الكتب السابقة وفي القرآن وهو معنى قولـه: ﴿هو سماكم[4] المسلمين من قبل وفي هذا﴾ أي القرآن وقوله: ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ أي اجتباكم أيها المؤمنون لدينه الإسلامي وسماكم المسلمين ليكون الرسول شهيداً عليكم يوم القيامة بأنه قد بلغكم ما أرسل به إليكم وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين أنهم قد بلغوا أممهم ما أرسلوا به إليهم وعليه فاشكروا هذا الإنعام والإكرام لله تعالى ﴿فأقيموا[5] الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله﴾ أي تمسكوا بشرعه عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وقضاءاً وحكماً، وقوله تعالى: ﴿هو مولاكم﴾ أي سيدكم ومالك أمركم ﴿فنعم المولى﴾ هو سبحانه وتعالى ﴿ونعم النصير﴾ أي الناصر لكم ما دمتم أولياءه تعيشون على الإيمان والتقوى.

---

(١) هذا من ذكر العام بعد الخاص، والعبادة: الطاعة ولكن مع غاية التعظيم والحبّ للمطاع.

(٢) الجهاد هنا: قتال الكفار المعتدين والمانعين لدعوة الله وصد الناس عنها والعلّة فيه إكمال البشر وإسعادهم بالإسلام لله تعالى و(في) في قوله (في الله): تعليلية أي: لأجل الله أي: لإعلاء كلمة الله تعالى، وفي الحديث الصحيح: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).

(٣) هذا كقوله تعالى: (فاتقوا الله حق تقاته) فإنه مخصوص بالاستطاعة وقوله بعد: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) مخصّصٌ له أيضاً، ويدخل في الأمر بالجهاد هنا: جهاد النفس والشيطان، وكلمة الحق عند من ينكرها لحديث (كلمة عدل عند سلطان جائر).

(٤) الملّة: الدين والشريعة ونصب: (ملة): بإلزموا ونحوه، والخطاب للعرب إذ إبراهيم أبو العرب المستعربة قاطبة، وهو أيضاً أبو أهل الكتاب وأبّ كل موحد أبوّة تشريف واتباع وتعظيم.

(٥) قوله تعالى (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) بعد ذكر المنن إشارة صريحة إلى وجوب شكر الله تعالى على نعمه، وما شكر الله تعالى من لم يقم الصلاة ويؤت الزكاة كما أن من لم يتمسك بدين الله كافر غير شاكر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ فضيلة الصلاة وشرف العبادة وفعل الخير.

٢ـ مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ .

٣ـ فضل الجهاد في سبيل الله وهو جهاد الكفار، وان لا تأخذ المؤمن في الله لومة لائم .

٤ـ فضيلة هذه الأمة المسلمة حيث أعطيت ثلاثاً[1] لم يعطها إلا نبي كان يقال للنبي عليه السلام اذهب فليس عليك حرج فقال الله لهذه الأمة : ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وكان يقال للنبي عليه السلام أنت شهيد على قومك وقال الله : ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ وكان يقال للنبي سل تعطه وقال الله لهذه الأمة : ﴿ادعوني استجب لكم﴾ دل على هذا قوله تعالى : ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ .

٥ـ فرضية الصلاة ، والزكاة ، والتمسك بالشريعة .

---

(١) ذكر هذا ابن جرير الطبري رواية عن معمر وقتادة.